أبو يعلى الزواوي

الإسلام الصحيح

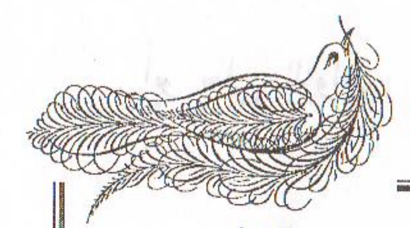
تقديم

د. أبو القاسم سعد الله

هذا الكتاب

...لقد ألف الشيخ الزواوي عدة كتب، ولكن لم يظهر منها أثناء حياته - حسب علمنا - سوى أربعة هي: الإسلام الصحيح، وتاريخ الزواوة، وجماعة المسلمين، ومجموعة خطب، وكلها في أحجام صغيرة وتتناول موضوعات متشابهة تهم حياة المسلمين في ماضيهم وحاضرهم وكيف يمكن لهم الخروج من التخلف الذهني والفكري الذي تركته السنون في معاشهم وتعاملهم وتفاعلهم مع الأحداث. وقد نوه الشيخ الطيب العقبي، صديق الزواوي، بكتاب جماعة المسلمين، كما نوه الشيخ عبد القادر المغربي بكتاب الإسلام الصحيح، ويمتاز قلم الشيخ الزواوي بالجرأة في تناول الموضوعات المذكورة، بل نستطيع القول إننا من خلال قلمه نحكم بأن الرجل كان «عصبيا» يكاد يستعمل قلمه سيفا حادا يسلطه على خصوم الإصلاح والتغيير. وأحيانا يظهر متناقضا في طرحه لبعض القضايا كدفاعه عن أصله الحميري والشريفي في حين يعتز بزواويته وعرينه (عرين الأسد) وبتاريخ قومه.





الكتاب

الإسلام الصحيح

تأليف

أبو يعلى الزواوي

الطبعة

2008

القياس: 20/13

الناشر

© منشورات الحبر

تعاونية عيسات إيدير، رقم 149

بني مسوس. الجزائر

Tel/ 0661 66 63 33

fax/ 021 92 21 69

تصميم الغلاف

خالد بوزنون

الإيـــــداع القانوني

2007 - 5129

ردمك

978-9947-838-17-4

البريد الإلكتروني

hibredition@gmail.com

تصديـــر

بقلم ابو القاسم سعد الله

سبق لي أن تناولت جوانب من حياة الشيخ أبي يعلى الزواوي[1] (السعيد بن محمد الشريف)، فما الجديد عنها اليوم ؟ الواقع أن الشيخ يفرض عليك في كل مرة أن تراجع ما كتبت عنه وتغوص فيما كتبت لتفهمه على حقيقته ولا تظلمه نقيرا. إن ما كتبته عنه لا يكاد يتجاوز العشرينات من القرن الماضي بينما عاش بعد ذلك حوالي عشرين سنة وطرأت عليه وعلى بلاده أحداث وأفكار جديدة تجعل المؤرخ لحياته مضطرا إلى استكمالها بالمراجعة والتدقيق لتكون الصورة عنه كاملة.

ولا ندعي الآن أننا سنكتب ترجمة شاملة للشيخ الزواوي، فذلك بعيد كل البعد عن دافعنا وهدفنا. ذلك أننا مازلنا لا نملك كل معطيات حياته وتقلبات أيامه والعوامل المؤثرة فيه. فالرجل عاش نصف القرن العشرين وفترة من القرن الذي سبقه وشهد

---

[1] أنظر ج 2 من أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط. 5، دار الغرب الإسلامي بيروت 2007.

عهودا مظلمة مرت على وطنه عموما ومسقط رأسه خصوصا، وعاصر يقظة الجزائر المسلمة وجمود السياسة الفرنسية فيها، كما زار فرنسا، وعاش في المشرق العربي أيام الحرب والسلام في مركزين رئيسيين فيه هما سورية ومصر. ومن قال "سورية" فقد قصد حراجة العلاقة بين الدولة العثمانية والعرب، ومن قال "مصر" فقد قصد تحكم الإنجليز في شؤون العرب والمسلمين في الشرق الادنى (الشرق الأوسط حاليا) كما قصد "مطبخ" السياسة الدولية للسيطرة على العرب والأتراك والإيرانيين والهنود والإفريقيين. وقد كان الشيخ الزواوي بذكائه وحنكته يتابع ذلك ويسجله في ذاكرته بكل توتر ومرارة. وما كتابه الإسلام الصحيح إلا انعكاس لتلك الظروف.

ولكن مصر وسورية أيام إقامة الشيخ الزواوي فيهما كانتا أيضا مركزين لدعوات الإصلاح والتجديد من جهة، ودعوات التمسك بالتراث ومواجهة الغرب من جهة أخرى، فهناك حركة مصر الفتاة، ومجلة المنار للشيخ رشيد رضا حامل راية فكر الشيخين محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، والجمعيات العربية السرية (في سورية)، وهناك نشاط النخب الهاربة من الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا أمثال عدد من المهاجرين الجزائريين من الجيل الثاني والثالث وكذلك الأخوين باش حانبة التونسيين وصالح الشريف التونسي ذي الاصل الجزائري.

في هذه الاثناء التقى الشيخ الزواوي في مصر بالشيخ طاهر الجزائري السمعوني الهارب – كما قيل – من مغبة غضب الأتراك عليه بالشام لأنه كان من دعاة القومية العربية ومن أنصار المصلح مدحت باشا يوم كان هذا واليا على بلاد الشام. وكان الزواوي معجبا بالشيخ طاهر فكتب إليه سنة 1912 من سورية (حل الشيخ طاهر بمصر في حدود سنة 1905 يستحثه على كتابة تاريخ الزواوة مستغلا سمعته، مقتدحا زنده، مدغدغا عصبيته (على رأي بن خلدون).

وعندما وضعت الحرب العالمية أوزارها رجع الشيخ طاهر إلى سورية حيث توفي في نفس الفترة التي انعقد فيها مؤتمر الصلح بفرساي وتمزقت فيها الدولة العثمانية وقبل احتلال فرنسا لسورية وقضائها على دولة الأمير فيصل. ولا نعرف أن الشيخ الزواوي قد رجع إلى سورية أيضا ولكننا نعرف أنه رجع إلى الجزائر في نفس السنة التي رجع فيها الشيخ البشير الإبراهيمي إليها أيضا من سورية، كما رجع الشيخ الطيب العقبي من الحجاز. فكان رجوع هذه الكوكبة المثقفة خيرا وبركة على بلادهم وإن تركوا في المشرق علاقات ظلت ممتدة طيلة حياتهم، يشهد عليها مراسلاتهم مع عدد من زعماء وعلماء العرب والمسلمين بعد عودتهم إلى الجزائر.

لقد ألف الشيخ الزواوي عدة كتب، ولكن لم يظهر منها أثناء حياته – حسب علمنا – سوى أربعة هي : الإسلام الصحيح، وتاريخ الزواوة، وجماعة المسلمين، ومجموعة خطب، وكلها في أحجام صغيرة وتتناول موضوعات متشابهة تهم حياة المسلمين في ماضيهم وحاضرهم وكيف يمكن لهم الخروج من التخلف الذهني والفكري الذي تركته السنون في معاشهم وتعاملهم وتفاعلهم مع الأحداث. وقد نوه الشيخ الطيب العقبي، صديق الزواوي، بكتاب جماعة المسلمين، كما نوه الشيخ عبد القادر المغربي بكتاب الإسلام الصحيح. ويمتاز قلم الشيخ الزواوي بالجرأة في تناول الموضوعات المذكورة، بل نستطيع القول إننا من خلال قلمه نحكم بأن الرجل كان "عصبيا" يكاد يستعمل قلمه سيفا حادا يسلطه على خصوم الإصلاح والتغيير. وأحيانا يظهر متناقضا في طرحه لبعض القضايا كدفاعه عن أصله الحميري والشريفي في حين يعتز بزواويته وعرينه (عرين الأسد) وبتاريخ قومه.

يعرف الزواوي عند المصلحين (بشيخ المصلحين وشاب الشيوخ) وبمهاجمة خصوم الإصلاح، بل ذهب إلى الهجوم على من رآهم قد خرجوا عن السلف الصالح أيضا كالروافض والموحدين الذين ادعوا المهدوية وعصمة الأئمة، وطعن في الطرقية المغالية في حب الشيوخ وفي طاعتهم العمياء. ووقف ضد تنطع بعض

الفقهاء وتكلفهم وتعصبهم لمقاصدهم ومذاهبهم. ولم ينس المتكلمين الذين بالغوا في التحذلق والبحث الميتافيزيقي المتأثر بالفلسفة اليونانية، ورأى أن العامة قد فرطوا في جنب الله والتزموا ما لا يلزم في الإسلام (ص 28).

انتصر الزواوي لزعماء الفكر الإسلامي المناضلين في وقت المحن التي واجهت المسلمين كأبي حيان وابن خلدون وابن تيمية الذين وقفوا ضد المتصوفة الغلاة في التشيع مما نشأ عنه مذهب الحلول والوحدة والباطنية (ص 79). وقد عاب على بعض الحكام جنونهم وحماقتهم، كما فعل مع الحاكم بأمر الله الفاطمي لكتابته "الرحمن الرحيم" إلى جانب لقبه وادعائه علم الغيب. وانتصر الزواوي للعلماء المجاهدين كافة، ضد العدو الخارجي والانحراف الداخلي. وله مقالات رنانة كتبها في البصائر (السلسلة الأولى) لا نظن أنها أضيفت إلى هذا الكتاب لنشره قبل كتابتها.

وعندما هاجم الزواوي المتصوفة في القرن التاسع الهجري كان في ذهنه أيضا المتصوفة في القرن الرابع عشر الهجري، أولئك مهدوا الطريق قديما لاحتلال التتار البلاد العربية (بلاد الشام) وهؤلاء (المتصوفة) مهدوا الطريق حديثا لاحتلال الفرنسيين بلادا عربية (شمال إفريقيا) اعتقادا منه بنزول الذل وضعف الروح القومية، مستمدا ذلك من مقولة ابن خلدون "فصل في أن من

عوائق الملك حصول المذلة للقبيل" وإن ذهاب العصبية (القومية) يورث المذلة والهوان والعجز عن المقاومة، ومشيرا إلى قصة بني إسرائيل حين أخبرهم موسى عليه السلام بالتوجه إلى بلاد الشام فخافوا وقالوا إن فيها "قوما جبارين" وأنهم لن يدخلوها حتى يخرج الجبابرة منها. فعلق الزواوي على ذلك بقوله إننا نحن كذلك خائفون.

ومن اللافت أن الزواوي لامس كثيرا من قضايا عصره. فهناك عدد من المشاكل التي كانت تحدث بين الجزائريين والفرنسيين ثم بين هؤلاء وبين العرب والمسلمين في المشرق، وكانت مشاكل منجرة عن الاستعمار عموما، فكان يخوض فيها برأيه الذي يدخله اليوم في صف المعارضة للحكام الظالمين والفقهاء الفاسدين والمتصوفة المزيفين. وربما لا داعي للإشارة بأن آراء الزواوي في هذا الكتاب تدخله أيضا في صف المتحررين والنخب النشطة في عهد الاستعمار رغم أنه لم يكن – حسب علمنا – عضوا في أي حزب سياسي معروف. وكثير مما رواه عايشه شخصيا سواء في الجزائر أو في غيرها. ثم هو مطلع منهوم بمعرفة مصادر الرأي المؤيد والمخالف، ففي كتابه عناوين كثيرة من المصادر الإسلامية الفقهية والفكرية يستغرب المرء اليوم كيف أحاط بها جميعا بل كيف اجتمعت له في مكتبته وفي ذاكرته.

ويمكننا أن نستمر في الاستدلال على أهمية هذا الكتاب في وقت الزواوي ووقتنا. ففي وقته كانت المذلة قد ضربت أطنابها على العرب والمسلمين بحكم الاستعمار والقهر وشيوع التصوف الزائف العائق لإرادة الأمة في التحرك، وقد استمر ذلك العائق إلى أن غير القوم (أو القبيل عند ابن خلدون) ما بأنفسهم فحدثت ثورة الجزائر التي مزقت برقع المذلة ورفعت التحدي فتحررت بسببها كثير من الشعوب وانهزمت أمامها قوة استعمارية عاتية. أما في وقتنا فقد رجعت المذلة والقهر تحت عناوين كثيرة منها العولمة و"تكييف" الإسلام حسب رغبة الحكام المذلين لشعوبهم بالعسف والقهر وبحالة الطوارئ والقوانين الاستثنائية بدعوى محاربة الإرهاب، بينما ظهر المتصوفة الجدد المذلين لأتباعهم الخانعين للظلمة الداعين للسكون والاستسلام. لذلك نقول إن كتاب الإسلام الصحيح ليس له زمن يقرأ فيه لأن آراء صاحبه فيه صالحة ما دام هناك مسلمون يعيشون بغير الإسلام، وستظل صالحة مادام هناك اعتداء على حرمة المسلمين، ومادام هناك حكام منحرفين ظلمة ومسلمون خاضعين أذلاء.

د. أبو القاسم سعد الله

دالي إبراهيم / الجزائر

30 أكتوبر 2007



وصلى الله على محمد وآله وسلم

الحمد لله على نعمة الإيمان والإسلام، وعلى الهداية والتوفيق إلى سبيل السلام، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء العظام، وعلى آله وصحبه الخيرة الكرام، وبعد فقد سألني بعض الإخوان، من الأعيان ذوي الإيمان، أصلح الله لنا ولهم الحال والشان، وضع كتاب صغير الحجم، كبير العلم، في الإسلام الصحيح على قواعده الأصلية المتفق عليها لا المختلف فيها، من غير التزام ما لا يلزم، مما أحدثه بعض القوم، ومن غير اعتماد مذهب دون مذهب، إذ المذاهب كلها محدثة، وبالأخص الأربعة المرضية، التي تعتبر الآن عندنا معشر المسلمين أنها رسمية، مجمع على تقليدها، ووجوب العمل بها، ولكن بالأصول المعتبرة، لا بالفروع التي لا تخلو من الحيرة، من أولئك الفقهاء المتأخرين، أو المتعصبة، فأجبت سؤاله بعد الاستخارة، مستمدا من الله جل شأنه المعونة، مشيرا بحرف السين إلى السؤال وبحرف الجيم إلى الجواب والله تعالى الملهم للصواب، وعنده حسن الثواب.

س : ما رب العالمين جل جلاله ؟

ج :

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[1]

هذا الجواب من كلامه تعالى الذي يجب على المسلم اعتقاده والإيمان به من طريق النقل الصحيح. وفي كتابه العزيز آيات كثيرة من هذا القبيل، فمن ذلك ما حكى الله عن فرعون في قصة موسى عليه السلام :

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2]

وأما من طريق العقل فإنه لما كان الإنسان المكلف هو المخاطب شرعا بمعرفة الله وكان الله جل شأنه بالعقل، والعقل يدرك بديهة أن الإنسان مخلوق ولا بد له من خالق، كصنعة لا بد

[1] سورة الطلاق الآية 12.
[2] سورة الشعراء الآية 24.

لها من صانع، وليستقري الإنسان العاقل ما يستقري من المخلوقات فلا يجد شيئا منها مخلوقا بلا خالق وهو محال وبهذا كفاية.

س : دليل وجوده تعالى

ج : حدوث المخلوقات العظام، من الاجرام الفخام، إلى مثقال الذرة في الأرض أو السموات مما ضرب الله مثلا ما بعوضة فما فوقها، وكلها مخلوقة تفتقر إلى خالق إذ العقل لا يمنع استمرار ما كان معدوما أن يبقى في العدم فوجوده بعد العدم كما نشاهد يضطر إلى موجد فإن المخلوقات كانت في حيز العدم فوجدت بموجد فالإنسان العاقل يدرك هذا من نفسه :

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[1]

[1] سورة الإنسان من الآية 1 إلى الآية 3.

فالذي ينكر وجود خالقه ليس إلا خصما عنيدا، أو همجيا بليدا،

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾[1]

س : هل الله مثال أو ضد أو ند ؟

ج : كلا،

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[2]

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[3]

فلا ضد ولا ند ولا شريك ولا معين ولا وزير.

[1] سورة يس من الآية 77 إلى الآية 79.

[2] سورة الشورى الآية 11.

[3] سورة الإخلاص.

س : هل يرى في الدنيا بالأبصار ؟

ج : كلا،

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾[1]

ويرى في الآخرة بما يليق بتلك الدار مما لا ينافي تنزيهه تعالى عن مشابهة الخلق، وأما في هذه الدنيا فلم يخلق لنا إلا ما ندرك به وجوده فقط لا ذاته العليا.

وأزيدك أيها السائل هنا برهانا آخر على وجوده لتكتفي وهو أن الخط في الكتابة يدل دلالة قطعية على الخطاط الكاتب ومثل العبد الذي يعترف بالخط والكتابة وينكر وجود الخطاط الكاتب كمثل النملة التي تجري على قرطاس الكاتب فترى الخط والكتابة ولم يمكن لها أن ترفع رأسها لترى الكاتب فتنكر وجوده لذلك ولكن لا يلتفت إليها، وكثر هذا الضرب من الناس في هذا الزمن الزمن.

[1] سورة الأنعام الآية 103.

س : أيكفي هذا الذي ذكرت في التوحيد ومعرفة الله جل شأنه ؟

ج : يكفي وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكتفي من المكلف بالتصديق بوجود الخالق المكون لهذا الكون فلذلك قال : « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذاته »[1] وعلى هذا كان السلف الصالح ولم يخوضوا في علم الكلام الذي ما خاض أحد بحره الخضم إلا هلك.

اعلم أيها السائل أن خير طريقة في العقيدة التوحيدية طريقة السلف التي هي اتباع ما ثبت عن الله وعن رسوله من غير كثرة التأويل والدخول في الأخذ والرد من الجدل في المتشابه وإيراد الشبه والرد عليها.

وأذكر الآن بهذه المناسبة جملة من أقوال الأئمة العظام من السلف الصالح لتعتبر أيها السائل وتعلم أن الخوض في علم الكلام لا يهدي إلى الحق غالبا خصوصا في قضايا الانتصار لمذهب دون مذهب وتجد أن مذهب الحق في ذلك هو مذهب القرآن العظيم :

[1] رواه الطبراني والبيهقي.

﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾[1]

وهو مذهب السلف فإن القرآن الكريم أبى الخوض في ذلك لعجز المخلوق عن معرفة حقيقة الخالق وإنما تصدى لتوجيه الأنظار للاعتبار كما تقدم.

والجملة هي — كما في الأحياء للعلامة المتكلم الغزالي : فمن قائل إنه — يعني علم الكلام — بدعة وحرام وإن العبد أن يلقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو الاعيان وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات، فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى ؛ وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأعلى رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول : لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من علم الكلام، ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر على حكايته، وقال أيضا قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام،

[1] سورة الأنعام الآية 91.

وحكى الكرابيسي أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال : سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنت ؟ فقال حفص الفرد : لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه. وقال أيضا لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد، وقال أيضا إذا سمعت رجلا يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمي فاشهد بأنه من أهل الكلام لا دين له ؛ قال الزعفراني قال الشافعي حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام.

وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة، وقال له ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث ؟ وقال رحمه الله علماء الكلام زنادقة.

وقال مالك رحمه الله : أرأيت إن جاء من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد ؟ يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت. وقال أيضا لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء. فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل البدع والأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا.

وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق، وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم. وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديد فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم ما يتولد منه من الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون »[1] أي المتعمقون في البحث والاستقصاء، واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان أهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم إلى علم الفرائض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر، وقال « أمسكوا عن القدر »[2] وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله

[1] رواه مسلم.

[2] أخرجه الطبرني بسند حسن.

عنهم فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة.

س : من الرسول ؟

ج : الرسول إنسان أوحي إليه أمره الله بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة فأول الرسل من البشر هو آدم نفسه وآخرهم محمد رسول الله خاتم الأنبياء بنص الكتاب وبحديث منه صلى الله عليه وسلم أرسله الله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وأنزل عليه كتابا معجزا محفوظا،

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1]

سلمه خصماؤه الفصحاء، وأعداؤه الالداء، وأعجز الإنس والجن كما قيل:

أعجز الإنس آية منه والجن   فهلا تأتي بها البلغاء
كل يوم يهدي إلى سامعيه   معجزات من لفظه القراء

[1] سورة فصلت الآية 42.

وقال أيضا :

ردت بلاغتها دعوى معارضها   رد الغيور يد الجاني عن الحرم

ومع هذا فالنبي أمي لا يقرأ ولا يكتب وهذه أكبر معجزة له صلى الله عليه وسلم مع انشقاق القمر وقال صاحب الجوهرة :

ومعجزاته كثيرة غرر   منها كلام الله معجز البشر

(قلت) :

ويلي هذا في العبر   معجزة انشقاق القمر

وأورد هنا ما في ترجمة خطاب مصطفى كمال مما يخص النبوة والرسالة لكونه في غاية التحرير والاجادة مع الاختصار والاصابة وهو :

« وقد اقتضت إرادة الله أن يبعث في الناس من يرشدهم إلى أن يتم وصولهم إلى الكمال ولذلك أرسل فيهم من عهد آدم عليه السلام أنبياء ورسلا لا يمكن عدهم أو إحصاؤهم إلى أن قام نبينا الأعظم بتبليغ آخر الحقائق الدينية والمدنية فلم تبق حاجة إلى الاتصال بالناس بواسطة رسله حيث أنها قد وصلت درجة كمال

النوع البشري إلى حد يصله بالإلهامات الالهية رأسا، ولهذا كان الرسول المجتبى خاتم الأنبياء وكان كتابه أكمل الكتب السماوية.

ولد عليه الصلاة والسلام قبل ألف وثلاثمائة وواحد وأربعين عاما في يوم الاثنين من شهر ابريل (ربيع الأول) قبل طلوع النهار، وقد شب واكتهل، قبل أن يرسل، وكان وجهه نورانيا، وكلامه روحانيا، لا يفوقه أحد في رشده ورويته، بل يفوق الكل في صدقه وحلمه ومروءته، وقد امتاز محمد المصطفى بأمثال هذه الصفات الجليلة قبل بعثته فاشتهر في قبيلته بلقب محمد الأمين، وكان محبوبا محترما موثوقا به لدى الجميع قبل بعثته. بعث محمد عليه الصلاة والسلام في سن الأربعين وأرسل في سن الثالثة والأربعين فظل سيدنا فخر العالم يسعى عشرين عاما متكبدا أعظم المشاق محوطا بأشد الأخطار وقد ارتقى إلى أعلى عليين بعد أن بلغ الرسالة وأتم تأسيس الإسلام اهـ.

وأذكر هنا أن أشهر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخاصة أولو العزم منهم نشأوا فقراء وعاشوا كذلك وإنما هم أغنياء من حيث الكمال المعنوي والخلقي كذلك وهم من العشائر العظيمة وأولي النسب الصريح الصحيح المتصل وإبراهيم الخليل منهم هو أبو موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الثلاثة

عاشوا فقراء فإن موسى رعى الغنم وتزوج بعمله ذلك ثماني حجج، وكان عيسى يمشي حافيا ويلبس المسوح والشعر ويبيت حيث أنهى به النهار، وكان محمد لا يشبع ثلاثة أيام متواليات، وقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي. وهذا مما يدل دلالة واضحة على أن لا عناية لهم بالدنيا وأنها لا اعتبار لها عندهم، وأنها قصيرة ذات متاعب وأخطار ودار ممر لا مقر، وان العبرة عندهم بدار البقاء، والنعيم الخالص من الاكدار التي لا يشوبها ضرر ولا ضرار. وإنما كانت عنايتهم بهذه الدار مكارم الأخلاق ومعرفة الله جل جلاله ومراقبته سرا وعلانية ورحمة ورهبانية، وإرشاد العباد إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم وما كادوا يفعلون ؟ بقي لنا أن نقول لأتباع هؤلاء الثلاثة الأنبياء العظام ليس لنا إلا أحد أمرين إما أن نعترف أن هؤلاء الأنبياء أعقل منا وأرشد وأعلم بحقيقة الأمر الذي جاءوا به وهو معرفة الله جل شأنه وهم مؤيدون بالمعجزات والكرامات والكتب السماوية الخ وإما أن نكون نحن أعقل وأرشد الخ فالتالي باطل فعلام إذا نحن سائرون عكس سيرتهم على خط مستقيم ؟ وعلام اغترنا ؟ لا عقل لنا ولا رشد ولا دين، إن نحن إلا في سخط منهم ومن الله.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾[1]

س : صفته الجسدية صلى الله عليه وسلم.

ج : كان عليه الصلاة والسلام ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الجسم وكان شعره ليس بجعد ولا سبط، في درجة عظيمة من الجمال الرائع قوي البنية وصارع ركانة فصرعه، ووصفه علي بن أبي طالب بقوله : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد، كان ربعة من القوم، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، وكان في وجهه تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الاشفار جليل المشاش والكتد أجرد ذو مسربة،

[1] سورة الزخرف من الآية 33 إلى الآية 35.

شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت معا، بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين.

وقال البوصيري في مدحه :

فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف   وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

س: ما نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم ؟

ج : نسبه عربي قرشي هاشمي من أرقى أمة وأفضل قبيلة وأشرف أرومة وأكرم أسرة، وقال العلامة ابن خلدون ما حاصلة إن البعثة النبوية لا تكون إلا من الأمم الكاملة الراقية، والأقاليم المعتدلة التي أهلها معتدلو المزاج كاملو الخلقة، ولم يسمع ببعثة نبوية في الأقاليم المنحرفة في الشمال والجنوب كالصقالبة والزنوج اهـ.

س : دليل رسالته صلى الله عليه وسلم ؟

ج : أدلة رسالته لا تكاد تحصر وهي معجزاته التي أيده الله بها المنزلة منزلة قوله تعالى صدق عبدي فيما يبلغ عني مع التحدي. والمعجزة أمر خارق للعادة تكون عند الطلب ووفقه وهو التحدي فمن ذلك ما تقدم ذكره من القرآن وانشقاق القمر ونطق الشجر، ومشيه إليه وحنين الجذع، وتكثير الطعام والماء القليل ففي ذلك قال شاعرنا :

وتغذى بالصاع ألف جياع   وتروى بالصاع ألف ظماء

وعن ذكر انشقاق القمر أقول اطلعت في بعض كتب أهل العصر في سيرة هذا النبي الأمي أن مجلة من مجلات العلماء الباحثين على الآثار القديمة كتبت أنهم عثروا على قصر قديم البناء في الصين مكتوب فيه تاريخ بنائه هكذا : « بني هذا القصر في عام انشقاق القمر » اهـ فقلت الله أكبر. ثم بعد هذا كله فإنه من السخافة والوقاحة أن يكذب المكذب بصحة النبوة عنادا ومكابرة ليزعم أنه حر الفكر وهو لا أهلية له للنظر فضلا عن أن يناظر، ولقد أحسن الفيلسوف الانكليزي كارليل الذي قال ما معناه : إنّ الأجدر بمعارضة النبي محمد في قرآنه ونبوته هم أهله ومن هم على بصيرة من الفن والعلم، يعني القرآن فإذا كان أصحاب الفن سلموا وأسلموا فما الذي يبقى للغير أن يعاند فيه وهو بعيد عن الشيء لا علم له به الخ الخ فليراجع.

استنباط معجزة له صلى الله عليه وسلم

لمؤلف هذا الكتاب وهي :

كنا جلوسا ذات يوم في دار الأمير عبد الله نجل الأمير عبد القادر الجزائري بالشام وكان صديقنا العلامة الكاتب الشيخ محمد الخضر نجل السيد علي بن عمر حاضرا على سبيل الزيارة أيام العيد فتجاذبنا أطراف الحديث إلى أن أدى بنا إلى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فاقتنع كل واحد منا بنوع من المعجزات الكثيرة الغرر فقلت لهم إن من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم التي بهرتني تصريحه بأن لا نبي بعده الثابت في الصحيحين وذلك انه صلى الله عليه وسلم قد انفرد بهذا القول عن إخوانه المرسلين الذين لا يحصون عدا ولم يقل أحد من الأنبياء بهذا فلو لا انه نبي وانه من الله لما قال « لا نبي بعدي »[1] وذلك انه لم يضطره إلى ذلك القول شيء ولم يطالبه به أحد وإنه في وسعه أن لا يقول ذلك وانه يسعه ما وسع الأنبياء قبله إذ لم يقولوا به، ولو علم من نفسه انه ليس بنبي مرسل ومؤيد من عند الله لما قال ذلك

[1] رواه مسلم.

وهو الفطن الحذق، وهذا أيضا عين برهان أن القرآن من عند الله كلامه جل شأنه ولو كان من تأليفه صلى الله عليه وسلم لما أثبت فيه (خاتم النبيين) لأنه أيضا غير مضطر إلى ذلك القول الذي لم يقله إخوانه الأنبياء الذين قبله، ألا يسعه ما وسعهم ؟ ولكنه لعلمه وتحققه أنه مرسل من عند الله صدع بما علم عن ربه فثبت ذلك، أي أنه لا نبي بعده، فاستحسن الحاضرون هذه النظرية وهذا الاستنباط، ولما رجع صديقنا المذكور الشيخ محمد الخضر إلى تونس في سفارته الأولى إلى الشام كتب رحلته تلك في جريدة الزهرة وذكر هذه الجملة باستحسان وبالله التوفيق لا رب غيره ونبينا لا نبي بعده.

القرآن

س : ما القرآن وما معناه ؟

ج : القرآن هو كلام الله وإن شئت قلت كتاب الله المنزل على رسوله للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته. ويسمى القرآن وكلام الله والفرقان، وقد قام الدليل والبرهان على أنه كلام الله لا كلام محمد كما يدعى الخصوم الكفرة المعاندون، كيف وقد تقدم قريبا أنه لو كان القرآن من عند محمد لما قال لا نبي بعدي، ولا قال فيه (خاتم النبيين) وهو ما بين دفتي المصحف بإجماع الأمة الإسلامية بلا خلاف ولا نزاع وهو محفوظ بوعد من الله إذ قال تعالى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1]

وأما معناه فمما لا يحاط به ومما لا تفي به مجلدات وقد فسره المسلمون، وأحسن تفسير له بالاثر تفسير ابن جرير الطبري، وفسره أبو بكر بن العربي في ثمانين مجلدا وكل مجلد ألف ورقة وسماه أنوار الفجر. والمقصود هنا هو انه كلام الله تضمن أحكاما

[1] سورة الحجر الآية 9.

من الله شرعها للعباد المؤمنين، وضمن لهم سعادة الدارين إن عملوا به، ولا غرض له تعالى في ذلك وإنما هو تفضل منه ورحمة لعباده الصالحين، فقال جل شأنه :

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَایَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾[1]

وهو – القرآن – دستور الأمة الإسلامية وقانونها الرباني الوحيد، ولا يمكن الإسلام بدونه، ولا تصح الديانة والعبادة إلا به، لأنه الأصل الذي تبتني عليه الأحكام الشرعية التي يرضاها الله ورسوله ولا يذهب الإسلام ما دام القرآن موجودا ولا يرتفع القرآن ما دام الإسلام موجودا، أمران متلازمان. ومما يؤسف له غفلة المسلمين شرقا وغربا عن العمل به وكاد يرتفع معناه ويبقى لفظه فقط والعياذ بالله، وهذا بسبب فتن وأهوال كادت تصدهم عنه، والحال أن الرسول صلى الله عليه وسلم حذرنا من ذلك كما في أحاديث كثيرة منها « أنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم » قيل فما النجاة منها يا رسول الله ؟ قال « كتاب تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو فصل، ليس بالهزل، من تركه تجبرا قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم،

[1] سورة طه الآية 123.

والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، من علمه سبق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم »[1]. ومنها « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي »[2].

ثم من لوازم القرآن العلوم العربية كلها وسائر العلوم لتدرك معانيه ومراميه وبدونها كما في بلادنا هذه فكأنّ لا قرآن عندهم بل انصرفوا عنه وعن لسانه وعلومه ومراميه إلى ما هو معروف فلا يليق لي ذكره وإنما هم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه والعياذ بالله، وإلى هذا رميت في مكاتبة لي مع بعض الإخوان حيث قلت له إن القرآن كمعدن من ذهب إذا وجد في أرض أحد فإن ذلك يستلزمه البحث عن المهندسين والآلات الكثيرة لاستخراجه وتلك الآلات هي العلوم العربية ثم إن ذلك مما يدفعه إلى تصريف الذهب والمعاملة به ويصير غنيا ذا ثروة عقلية أدبية أخلاقية شرعية – نعم لأن الأحكام الشرعية الإسلامية لا تصح إلا إذا تأسست على أربع قواعد : الكتاب والسنة والإجماع والقياس وأصح ذلك، ما انبنى على الكتاب العزيز المعصوم،

[1] رواه الدارمي والترمذي.

[2] رواه الحاكم.

ويليه ما بني على السنة النبوية العملية المبينة له، ودونهما ما انبنى على الحديث والاجماع الأصولي – لا اجماع الصحابة – والقياس فقد يتطرقه الخطأ لكثرة الخلاف في ذلك وبالأخص القياس المختلف في حجيته.

وبالجملة إن العدول عن القرآن إلى غيره خطر عظيم وسخط جسيم من الله ورسوله ويرضي ذلك غلادستون[1] وضرا به الكثيرين.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقد قص الله علينا في هذا القرآن ما قال فيه من قبل غلادستون فقال تعالى :

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦﴾[2]

[1] وزير انجليزي صعد المنبر في نحو سنة 1865 وأخذ المصحف الكريم بيده وقال ما حاصله انه ما دام ذلك الكتاب في الدنيا فلا راحة إلخ ما قال مما هو مؤرخ.

[2] سورة فصلت الآية 26.

فأوعدهم الله جل شأنه بقوله :

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٢٨﴾[1]

[1] سورة فصلت الآية 27 – 28.

الحديث

س : ما الحديث ؟

ج : الحديث بهذا الإطلاق هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الدرجة الثانية من كتب الأصول الأربعة في الفقه الإسلامي أي مبنى الأحكام الشرعية الإسلامية وهي الأصول الأربعة — الكتاب وتقدم — والسنة وهي الحديث، والاجماع، والقياس، وعرف الأصوليون السنة بقولهم « هي أقوال محمد صلى الله عليه وسلم وأفعاله ومنها تقريره لأنه كف عن الانكار والكف فعل لأنه لا تكليف إلا بالفعل، وتشرك السنة الكتاب من الأمر والنهي » وتقدم قريبا أن الحديث دخله الزور من الزيادة والنقصان فإن اثبات الحكم به مما يلزم التحري والتصحيح وهو منشأ الخلافيات كما تقدم.

الإجماع

س : ما الإجماع ؟

ج : الإجماع كما عرفه الأصوليون أيضا : اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر على أي أمر كان اهـ. قلت ظاهر هذا سهل وباطنه أي حقيقته صعب ثم أن مصلحته ورحمته في الشريعة عظيمتان ومفيدتان لو ألهم الله الأمة رشدها وهو من الأصول المعتبرة النافعة اللازمة في كل زمان ومكان وثبت في حديث صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قاضيا فقال له : « كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ » قال أقضي بكتاب الله، قال « فإن لم تجد في كتاب الله ؟ » قال فبسنة رسول الله، قال « فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله ؟ » قال أجتهد رأيي ولا آلو، قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال « الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] انتهى.

[1] رواه الترمذي.

قلت ثم بعد هذا كله ضرب المسلمون على الإجماع وعلى الاجتهاد فأغلقوا على أنفسهم ذلك الباب باب الرحمة والسعة، والإجماع بالإجماع فتفرقوا وهم يتلون،

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾[1]

وإذا البينات لم تغن شيئا ... فالتماس الهدى بهن عناء
وإذا ضلت العقول على علـ ... ـم فماذا تقوله النصحاء

س : ما القياس ؟

ج : عرفه الأصوليون أنه : مساواة فرع لأصل في علة حكمه، وبعبارة أخرى حمل معلوم على معلوم لمساواته في علة حكمه عند الحامل وهو المجتهد.

[1] سورة آل عمران الآية 103.

وهذه الأصول الأربعة هي مبنى الأحكام الشرعية ويقال لها الفقهية الإسلامية وعمودها وعمادها الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، إلا أن فهم القرآن واخذ الأحكام منه يتعذر على الأمة لتقصيرها في العربية وما يستلزمه القرآن.

وكذلك كثرة التأويل فيه واتباع المتشابه ونحو ذلك مما أحدثوه في تأويله ظاهرا وباطنا والحال أنه لا يلزم إلا الظاهر ولا كلفنا الله بالباطن أصلا ولا كلفنا إلا بالآيات المحكمات التي هي أم الكتاب إذ قال تعالى :

﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾[1]

[1] سورة آل عمران الآية 7.

الشهادة

س : ما هي الشهادة ؟

ج : الشهادة هي قول الشاهد المكلف المعتقد « لا إلـه إلا الله محمد رسول الله » ويقول ذلك مختارا طائعا عالما فاهما ما شهد به كما يشهد بشيء علمه وتحققه وتيقنه مثل وجود كاتب كتاب أو صانع صنعة. ومما لا يقبل عقله السليم أن يوجد خط بدون خطاط ولا صنعة بدون صانع وأن يصدق أن الذي أخبره بوجود الكاتب والصانع صادق سيما إذا رأى الكتابة والصنعة فشهادته هذه صحيحة لا ترد ولا تنقض ولو اجتمع له ضد ذلك من في الأرض جميعا وهكذا ينبغي أن تكون الشهادة، فشهادة أن : « لا إلـه إلا الله محمد رسول الله » كما تقدم أي لا إله يستحق أن يعبد بالحق مستغن عما سواه ومفتقر إليه ما عداه إلا الله، ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الله.

فإذا علم هذا المعنى وفهمه وشهد به فهو مؤمن وهذا هو الشرط الأول في الإيمان والإسلام وهو الركن الأول في قواعد الإسلام والشروط في صحة باقي القواعد وسائر الأحكام الشرعية الإسلامية. وهذه القواعد الإسلامية واضحة ظاهرة لا

تركيب فيها ولا تثليث ولا تشويش ولا اشتراك ولا غير ذلك مما عسى أن يعجز عنه العقل ويخالف الحقيقة. وعليه نقول : ما ضر الإنسان كائنا من كان أن يعترف بهذه الحقيقة إن كان عاقلا منصفا وبالأخص ان هذا مما ينفع ولا يضر. والله سبحانه وتعالى عالم بذات الصدور :

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن

يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾[1]

.... الخ السورة.

[1] سورة الملك من الآية 14 إلى الآية 22.

الإسلام

س : ما الإسلام ؟

ج : الإسلام هو دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الأول والآخر في الأديان، دين أبينا إبراهيم عليه السلام، دين الفطرة، لا يقبل الله تعالى غيره، إذ قال شأنه :

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1]

وقد حرفه من قبلنا من الأمم ولقد كدنا نحن أيضا أن نحذو حذوهم والعياذ بالله،

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾[2]

وقد عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الثابت في الصحيحين : « بني الإسلام على خمس » :

1/ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

2/ وإقام الصلاة

[1] سورة آل عمران الآية 85.
[2] سورة التوبة الآية 32.

3/ وإيتاء الزكاة

4/ وحج البيت

5/ وصوم رمضان

هذا هو الإسلام الصحيح وهو كما ترى سهل سمح، لم يمتحنا الله تعالى بما تعي العقول به وقال تعالى :

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[1]

[1] سورة الحج الآية 78.

الإيمان

س : ما الإيمان ؟

ج : ثبت في صحيح مسلم أن جبريل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم أمام الصحابة رضوان الله عليهم وهم لا يدرون أنه جبريل حتى ذهب فقال أي جبريل يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا » قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فاخبرني عن الإيمان قال « أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال صدقت قال اخبرني عن الإحسان قال « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » الحديث بطوله.

ويجمع هذا كله قوله تعالى :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1]

[1] سورة البقرة الآية 177.

الصلاة

س : ما هي الصلاة ؟

ج : الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام كما علمت مما تقدم وهي عبادة مفروضة ذات ركوع وسجود وقراءة وهي صلة بين العبد وربه، وهي عماد الدين فمن أنكرها أو جحدها فهو كافر، ومن تركها تغافلا وتهاونا فهو فاسق عاص مرتكب كبيرة وقيل كافر أيضا عند بعض الأئمة، وذلك أن منافعها ومصالحها لا تعد ولا تحصى لأن المصلي يتعود النظام، والقيام بالنظافة على الدوام، ولاسيما طرفي النهار قبل النوم وبعده وبالأخص عند القيام صباحا وعند الاجتماع بالمجتمعات التي هي المساجد ولأنها تستلزم الطهارة الكبرى أي الغسل والصغرى أي الوضوء ثم التوجه إلى الله ومناجاته بكلامه وذكره ودعائه وحده، وهي التي تقضي بالتوبة والإخلاص فإن المصلي كالموظف عند السلطان يلزمه الاستعداد للوقوف والحضور عند الملك ولا يجمل به أن يكون متسخا أو متكاسلا أو متهاونا وأحرى أن لا يكون مرتكبا للقبائح ونحو ذلك من السيرة المذمومة فإن دعاه إلى ذلك

داعي النفس والشيطان فإنه يقول في نفسه لا يمكنني هذا العمل لأني غير غائب عن أعين السلطان أخشى أن يراني فيطردني إلخ.

وأما فائدة الوضوء والغسل فمما لا يفي بها القلم وقد جربت من نفسي أني كثيرا ما أكون متوعكا ضعيفا منحرف المزاج وبالأخص بعد غشيان الأهل فيكون الجسم مضعضعا منحلا ولو لا لزوم الغسل ما قمت ذلك اليوم ولا عملت فيه شيئا ثم إذا اغتسلت زال ذلك كله حتى كأني غير الذي قبل الغسل وكأني جمل نشط من عقاله والحمد لله على إفضاله وتوفيقه لعباده وهو اللطيف الخبير.

الطهارة

س : ما الطهارة ؟

ج : الطهارة لغة النظافة من الأوساخ والنجاسات وهي ضد النجاسة، وتنقسم شرعا إلى طهارة نجس وطهارة حدث. ولما كانت الصلاة حضورا لدى الله وصلة بين العبد وربه صارت الطهارة شرطا لذلك ولا تصح الصلاة إلا بالطهارة فلذلك عرفها الفقهاء انها صفة حكمية توجب لموصوفها جواز استباحة الصلاة. ووضح أحكامها وقوانينها الفقه الإسلامي وبوّب لها الفقهاء في كتب الفقه وهي الغسل والوضوء وذكروا المياه التي تصح بها، والتي لا تصح بها، وذكروا نواقضها، والطهارة حسية ومعنوية فالحسية ما تقدم وأما المعنوية فهي النزاهة من العيوب وسائر الأفعال الخبيثة المذمومة من الرجز وقال تعالى :

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١﴾[1]

[1] سورة الأنفال الآية 11.

شروط الصلاة

س : ما معنى شروط الصلاة ؟

ج : معنى شروط الصلاة ان المكلف تلزمه الصلاة وتصح له إذا توفرت له واتصف بها وإلا فلا ثم هي قسمان شروط وجوب وشروط صحة.

س : ما شروط وجوب الصلاة ؟

ج : شروط وجوب الصلاة على المكلف خمسة : الإسلام والبلوغ والعقل والنقاء من دم الحيض والنفاس ودخول وقت الصلاة.

س : ما شروط صحة الصلاة وأدائها ؟

ج : شروط أداء الصلاة وصحتها أربعة : طهارة حدث وخبث واستقبال القبلة وستر العورة.

الفرق بين الشروط والفروض

س : ما الفرق بين الشروط والفرائض ؟

ج : الفرق بين الشروط والفرائض أن الشروط خارجة عن ماهية الصلاة والفرائض داخلة في ماهيتها كما في أبواب الفقه.

استقبال القبلة

س : ما معنى استقبال القبلة ؟

ج : استقبال القبلة هو توجه المصلي بوجهه إلى الكعبة البيت الحرام بيت الله وبقلبه إلى الله اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمره الله بذلك وكان يصلي إلى بيت المقدس فحوله الله إلى الكعبة وقد أمر الله تعالى المؤمنين بذلك أيضا فقال تعالى في ذلك :

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[7]

وهذا توحيد نظام وعمل للمسلمين فلا اختلاف فيه عندهم فلا يعدله الصليب إذ الصلب مختلف فيه عند النصارى وقد أعجب بهذا الأمر علماء الإفرنج لأنهم يعرفون معنى توحيد الذكر والعمل أكثر منا في هذا العصر.

[7] سورة البقرة الآية 144.

ستر العورة

س : ما معنى ستر العورة ؟

ج : ستر العورة هو لباس يستر ما يستقبح من جسم المصلي وما يفتتن به من جسم المرأة فجعل الشرع الإسلامي لذلك حدودا محددة.

وتختلف تلك الحدود فإن العورة بين رجل ورجل هي ما بين السرة والركبة وهو شرط في صحة الصلاة كما تقدم، وما بين المرأة والمرأة فكما بين الرجل والرجل. وأما بين الرجل والمرأة غير الزوجين فهي ما عدا الوجه والأطراف وعورة المرأة للرجل الأجنبي ما عدا الوجه والكفين ولا تصح الصلاة بغير هذه الحدود والقواعد، وهذا غاية ما يسمو إليه الأدب الإسلامي بعد أن كان العرب يطوفون بالبيت الحرام عراة بزعمهم أنهم لا يطوفون بثياب عصوا فيها.

الحجاب الشرعي للمرأة

س : أنصح هذه القاعدة أن تكون معتمدة في حجاب المرأة المسلمة.

ج : نعم هي الحجاب الشرعي الذي حارت فيه الأمة وتناول الكتاب قضيتها مذ نحو ثلاثين سنة فأكثروا فيها الأخذ والرد بعد ظهور تأليف قاسم بك أمين المصري المسمى تحرير المرأة الذي اشتهر.

والذي نراه لازما في الحجاب ومشددا فيه الاختلاء بالأجنبية وقد ورد في ذلك حديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم فإن ثالثهما الشيطان »[1] وذلك ان جاذبية الطبيعة لا تقاوم غالبا ولا نجاة منها إلا بالمباعدة وقد بين الله في القرآن من لا جناح عليهن في الرؤية والاختلاء بهن فقال :

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ

[1] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾[1]

وقال في آية أخرى :

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[2]

وما عدا هذا فإن الحجاب الذي نراه جاريا مخالف بين تفريط وافراط ولم ينتظم أمره وصار عادة فقط فالبعض من المسلمين متنطع ومشدد فيه لا ترى المرأة عندهم حتى في الخطبة واطّرد هذا

[1] سورة الأحزاب الآية 55.

[2] سورة النور الآية 31.

الأمر في غالب العالم الإسلامي المدني أي أصحاب المدن وهو ظلم وضلال مبين ومصادم للسنة والطبيعة والمصلحة.

أليس من الظلم والباطل وضد المصلحة أن تختفي المرأة الجميلة وتختبئ عن الخطاب ؟ أليس من الخسار وضد السنة أن يمنع موالي المرأة المخطوبة الخاطب من رؤيتها والحال أنه من الضروري أن جماها قدرها وقيمتها. وفي ذلك من الغبن للمرأة والرجل ما فيه إذ من الجائز أن الرجل إذا لم ير المرأة وسمع بها فقط فلا يبذل فيها مهرا حق قدرها بخلاف ما إذا رآها فإنه قد يبذل مالا طائلا وإذا كانت غير جميلة كذلك يقع الغبن للرجل دون المرأة وبالجملة أن المرأة الجميلة لا بد أن ترى للخاطب والمصلحة في ذلك للجانبين وللهيئة الاجتماعية من حيث النسل الجميل فالله تعالى جميل يحب الجمال وفي الصحيح أن رجلا من المهاجرين تزوج امرأة من الأنصار فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له « أنظرت إليها ؟ » قال لا قال « ارجع انظر إليها فإن في أعين نساء الأنصار شيئا »[1] أو كما قال، وقال لآخر « انظر إليها أحرى أن يؤدم بينكما »[2] وبالجملة فلا تفصل المرأة ولا تعطل المصلحة من الأعمال والأشغال وبالأخص التربية والتعليم والحال

[1] رواه أحمد والنسائي.

[2] رواه الترمذي وقال حديث حسن.

أن النساء أكثر من الرجال ولا يليق أن تكون المرأة عضوا اشل في الهيئة الاجتماعية الإسلامية.

وفي شرح الخرشي على المختصر في فقه مالك ما نصه : قال مالك تأكل المرأة مع غير ذي محرم ومع غلامها وقد تأكل مع زوجها وغيره ممن يواكله ابن القطان : فيه إباحة إبداء المرأة يديها ووجهها للأجنبي إذ لا يتصور الأكل إلا هكذا اهـ من المناسب ذكر مسألة في فقهنا المالكي وهي أنه يجوز كتم أولياء المخطوبة العمى على الخاطب وهو مما لا يعقل ولا يليق بحال ولا ندري من أين أخذوها لها أصل أو لا أصل لها ؟ قال صاحب المختصر ما لفظه ولولي المرأة كتم العمى.

يظن الغيور الجاهل أنه إذا أباح نظر من له ولاية الزواج عليها أن يرى للناس جميعا فيعد ذلك إهانة له ونقصا في الحرمة إلى غير ذلك مما اتقاه الناس وهو الذي حملهم على المنع الكلي فالصواب ما ذكرته في كتابي مرآة المرأة المسلمة وهو أنه قد يخطب المرأة جملة من الرجال فينظر هو — أي ولي المرأة — من يليق بالمرأة ومن تليق هي به ومن يناسب ويختار فيريه إياها ويصرف الباقي بدون رؤية ويقول ذلك ما هو من الأدب مثل أن المرأة لا تليق بك وهي دون قدرك وإن نشأتها وتربيتها خلاف

نشأتك وتربيتك وذلك جهدنا في تربيتها وتعليمها فالرأي أن تزوجها ممن ترى أن تستطيع القيام بحقوقه وتلائم أخلاقها أخلاقه ويا حبذا لو رأيتها تليق بكم وأن التقصير في هذا الأمر من جانبنا لا من جانبك يا للأسف. أما والحالة هذه فإن أولياء المرأة عندنا بمدينة الجزائر يمنعون النساء الخاطبات أن يرين المخطوبة، بلغوا إلى هذه الحالة وهو منكر وزور وظلم.

الصلوات المفروضة

س : كم صلاة تفرض في كل يوم وليلة ؟

ج : خمس صلوات مفروضة على المكلف في كل يوم وليلة وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح صلاها جبريل عليه السلام أمام النبي صلى الله عليه وسلم في أوقاتها وعلمه اياها أولها الظهر عند زوال الشمس، وثانيها العصر إذا صار ظل كل شيء مثليه وثالثها المغرب بعد غروب الشمس ورابعها العشاء عند مغيب الشفق وخامسها الصبح بعد طلوع الفجر الصادق وهذه هي الصلوات المفروضة.

أنواع الصلاة

س : ما أنواع الصلاة ؟

ج : أنواع الصلاة هي : الصلاة المفروضة المذكورة، وصلاة الجمعة على قول أنها بدل الظهر أو فرض يومها خاصة. وصلاة الجماعة وهي سنة أو واجبة على الخلاف وصلاة العيدين سنة وصلاة الاستسقاء سنة وصلاة الجنازة فرض كفاية، وصلاة الكسوف وصلاة الخسوف سنة، وصلاة السفر وصلاة القصر، وصلاة الخوف، وصلاة الفجر رغيبة وصلاة النافلة وصلاة الضحى وصلاة الشفع والوتر سنة وصلاة الاستخارة مستحبة، وصلاة تحية المسجد، وركعتا الطواف بدل تحية المسجد في البيت الحرام، وصلاة التسبيح نافلة، وصلاة التراويح، فإن اتصف بهذه العبادة وهذه الصفات المحمودة تكسبه سيرة وملكة ملائكية أي تؤهله أن يكون ملكا وقد كان ملكا ومن كان كذلك فهو بعيد عن الدناءة والمعصية لأنه كثير المناجاة لله كما تقدم ويعبد الله كأنه يراه، وهو الولي لله أي والي الله ووالاه الله لا ما تهذي به الأمة اليوم من أن كل دجال وكل نصاب وكل كهان وكل سحار وكل

محتال على الدنيا يأتيها من طريق الآخرة فهو الولي وجميع ما يصير في حياته وبعد مماته من الحوادث هو الذي أحدثها ويجعلون لهم قببا ومساجد يعظمونها ويتحاكمون إليها ويحلفون بها والعياذ بالله من الكفر بعد الإيمان.

الزكاة

س : ما معنى الزكاة ؟

ج : الزكاة أحد أركان الإسلام المتقدمة كما علمت ومعناها لغة النمو والزيادة أي ينمو بها الأجر ويزيد وشرعا جزء من مال ذي مال يخرجه ليعطى للفقراء والمساكين وغيرهم ممن يذكر قريبا. ومانع الزكاة يقاتل عليها وتؤخذ منه جبرا وعنوة ويعتبر مرتدا على ما تقدم في الصلاة وقد ورد في كتاب الله وعيد لمانعي الزكاة إذ قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝﴾[1]

[1] سورة التوبة الآية 34 ـ 35.

س : من الأصناف الذين تعطى لهم الزكاة وكم هم ؟

ج : الأصناف الذين تعطى لهم الزكاة ثمانية مذكورة في القرآن قال تعالى :

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾[1]

س : ما أنواع الزكاة ؟

ج : أنواع الزكاة ستة : زكاة العين، وزكاة الحبوب، وزكاة الماشية، وزكاة العروض، وزكاة الفطر، وزكاة الركاز أي دفائن الجاهلية لمن حصل عليها.

[1] سورة التوبة الآية 60.

النصاب

س : ما معنى النصاب ؟

ج : معنى النصاب هو القدر الذي إذا ملكه ممتلك تلزمه الزكاة وبدونه فلا. فنصاب الذهب والفضة عشرون دينارا من ذهب يلزم فيها ربع العشر منها والفضة مائتا درهم كذلك ربع العشر، ونصاب زكاة الإبل في كل خمس ذود شاة إلى أربعة وعشرين، ففي خمس وعشرين بنت مخاض وبنت مخاض هي التي لها سنة. وفي ست وثلاثين بنت لبون. وبنت لبون هي التي لها سنتان. وفي ست وأربعين حقة، والحقة هي التي لها ثلاث سنين، وفي إحدى وستين جذعة، والجذعة التي لها أربع سنين، وفي ست وسبعين بنتا لبون، وفي إحدى وتسعين حقتان، وفي مائة وإحدى وعشرين ثلاث بنات لبون، ثم إلى مائة وثلاثين. وفي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة.

وأما نصاب البقر فثلاثون يخرج عنها تبيعا له سنة ودخل في الثانية وفي أربعين بقرة لها سنتان ودخلت في الثالثة وهكذا.

ونصاب زكاة الضأن في كل أربعين شاة شاة جذعة من الضأن تم لها الحول أو ثنية من المعز تم لها الحول ودخلت في السنة الثانية، وفي مائة واحدى وعشرين شاة شاتان، وفي مائتين وواحدة ثلاث شياه، وفي أربعمائة أربع شياه ثم في كل مائة شاة شاة.

ونصاب زكاة الحبوب وتسمى زكاة الحرث – ستون صاعا من صاع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أربعة أمداد بمده عليه السلام فيلزم من ملك هذا القدر إخراج العشر إن كان السقي بماء المطر وإن كان السقي بعمل العامل فنصف العشر.

ونصاب زكاة الفطر ملك زيادة على قوت يومه افترضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم صاعا من الطعام يؤديه عن نفسه وعمن تلزمه نفقته. ونصاب زكاة الركاز هو أن من أصاب ركازا يخرج عنه الخمس.

الصيام

س : ما معنى الصيام ؟

ج : الصيام أحد أركان الإسلام المتقدم ذكرها وهو شهر رمضان الذي كتبه الله على المسلمين كما كتبه على الذين من قبلنا ومعناه كبير وكفى أنه رجاء وجنة وسد لمجاري الشيطان وتشبه بالملائكة الذين هم عند الرحمن.

الحج

س : ما معنى الحج ؟

ج : الحج هو تمام أركان الإسلام وبه أكمل الله هذا الدين الإسلامي وهو اجتماع إسلامي عام ومعناه لغة القصد إلى الشيء المعظم وشرعا القصد إلى بيت الله الحرام وأركانه أربعة أولها الإحرام من الميقات وثانيها الوقوف بعرفة ليلة عيد النحر وثالثها الطواف بالبيت الحرام ورابعها السعي بين الصفا والمروة.

ثم إن المسلمين المتأخرين لم يستفيدوا من هذا المعرض العام إلا أنهم أدوا الفرض الذي عليهم وما عدا ذلك من فوائد الاجتماع والتعارف والتواصل والتعاون أو ليتعلموا عقد المؤتمرات للنظر في شئون أهل الإسلام وما آل إليه أمرهم أو يفصلوا شيئا من الخلافيات فغير معروف عندهم وصار هذا الحج عندهم ليقال حج فلان أو يفتخر هو انه حج وهكذا جميع أحوالنا وأفعالنا جافة باردة سخيفة ساقطة ولا حول ولا قوة إلا بالله لأني أكتب هذه السطور والقتال دائر بين أميرين بل فريقين عظيمين من بلاد العرب في البيت الحرام والشهر الحرام وقد يستطيع المسلمون أن يجبروهم على الصلح إما بالتحكيم أو بالتحسيم.

وأما المتقدمون وخصوصا المغاربة فقد وقفت على رحلات حجهم وما يستفيدون فيها من العلم وذلك أنهم يحتفلون للحج ويقصدون بذلك الاطلاع على جميع شئون المشرق من شئون العلم والدول كما فعل أبو بكر بن العربي الذي ساح وقال عن نفسه إنه دخل ألف مدينة ومائة مدينة وكذلك ابن عبد البر وابن خلدون وابن فرحون والمقري صاحب نفح الطيب والسهيلي وأبو حيان وعبد الرحمن الثعالبي وابن مرزوق وغير هؤلاء ممن لا يحصرون كثرة ومن ارتاب فليراجع الديباج لابن فرحون وتطريز الديباج وليقرأ بين السطور.

العمرة

س : ما العمرة ؟

ج : العمرة في الشرع هي زيارة البيت الحرام وأركانها احرام وطواف وسعي بين الصفا والمروة وليس لها زمان معين مثل الحج. وسنة الإحرام بعمرة أن يصلي المعتمر ركعتين.

فقد بان لك أيها السائل الإسلام الصحيح الذي عليه السلف الصالح ثابت الأركان تام البيان، تكفل به القرآن، هدى الله والله سبحانه يقول :

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾[1]

س : هل هناك فرق بين إسلام السلف والخلف ؟

ج : نعم هناك فرق كبير فإن إسلام السلف أمتن وأخف إذ لم يحدثوا ولم يحدث لهم، وقد اقتصروا على الأصول المتقدمة مع كثرة العمل وقلة القول.

[1] سورة طه الآية 123.

وأما الخلف فعلى خلاف ذلك لكثرة الفروع والمسائل وايراد الشبه والسبل فتورطوا كثيرا وعناية الخلف بالفروع أكثر من عنايتهم بالأصول فادى ذلك الأمر بهم إلى الانصراف عن الأصول.

وإليك مثالا واحدا من إسلام السلف فاعتبره : ثبت في صحيح مسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه أنه قال نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال صدق قال فمن خلق السماء ؟ قال الله قال فمن خلق الأرض ؟ قال الله قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال الله قال فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال نعم. قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا قال صدق قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم وقال وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا قال صدق قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم قال وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا قال صدق قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم، قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا قال صدق قال ثم ولى قال

والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا انقص منهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لئن صدق ليدخلن الجنة ».

وهاك مثالا آخر من إسلام الخلف نقلا بالحرف عن كتاب جامع الأصول[1] : واعلم أن التوحيد الوجودي هو الذوق والشوق والوارد ووضوح اسرار المعية والصحبة والغيبة والاستغراق والرقص والسماع والوجود والتواجد وكلها في سير لطيفة القلب فان سيرها أولا في دائرة الإمكان ومن أحوال هذه الدائرة الجذب والحضور والجمعية والواردات والكشف الكوني وكشف الأرواح وكشف عالم المثال وسير عالم الملك وهو عبارة عما تحت الأفلاك وسير عالم الملكوت وهو عبارة عن عالم الملائكة والأرواح والجنة وما فوق السموات وكلها داخلة في دائرة الإمكان بل تشاهد أمثال هذه الشعبذات في نصفها السافل ويقولون لهذا السير الافاقي بل كمال الحضور والجمعية والجذبات القوية يحصل في الدائرة الثانية التي هي عبارة عن سير تجليات وسير ظلال الأسماء والصفات وهي المسماة بدائرة الولاية الصغرى وعلامة وصول القلب إلى دائرة الولاية الصغرى اضمحلال توجه إلى الفوق وإحاطته بالجهات الست وأن يرى معيته تعالى اللامثلية بالإدراك اللامثلي بسيطة بالوجود وبجميع العالم وينكشف اسرار التوحيد الوجودي ومنشأ ذلك يظهر

[1] أي جامع أصول الأولياء في التصوف لا جامع أصول الحديث.

للسالك بسبب كثرة العبادات والمجاهدات وترك المألوفات والمرغوب ودوام الذكر والفكر غلبة العشق والمحبة للمحبوب الحقيقي وينجذب قلبه ويتوجه إلى جناب القدس انتهى نص الغرض وليتأمل ؟

وفي شرح الشبرخيتي على الأربعين ما لفظه : وعن عطاء الخراساني لما نزل قوله تعالى :

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[1]

صرخ إبليس صرخة عظيمة اجتمع إليه جنوده من أقطار الأرض قائلين ما هذه الصرخة التي أفزعتنا قال أمر نزل بي لم ينزل قط أعظم منه قالوا وما هو فتلا عليهم الآية وقال لهم هل عندكم من حيلة ؟ فقالوا اطلبوا فإني سأطلب قال فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ فاجتمعوا إليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع مثلها إلا التي قبلها قال وهل وجدتم شيئا ؟ قالوا لا قال لكني قد وجدت قالوا وما وجدت قال أزين لهم البدع التي يتخذونها دينا ثم لا يستغفرونه أي لأن صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا ولا يراها ذنبا فلا يستغفر الله.

[1] سورة النساء الآية 110.



أحكام الإسلام وقوانينه

س : هل للإسلام أحكام وقوانين منتظمة مضبوطة تكفي وتكفي ؟؟

ج : نعم له ذلك كما تقدّم قريبا وهو القرآن الذي هو المراد بالكتاب والحديث الصحيح وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذي هو السنة والإجماع والقياس، وعلى هذه القواعد تبنى الأحكام الشرعية الفقهية.

الحكم الشرعي

س : والحكم الشرعي ما هو ؟

ج : الحكم الشرعي هو الذي لا يؤخذ ولا يعلم إلا من الشرع العزيز، وهناك الحكم العقلي والعادي، ولكل من الحكم الشرعي والعقلي والعادي أقسام.

أقسام الحكم الشرعي

س : ما هي أقسام الحكم الشرعي ؟

ج : أقسام الحكم الشرعي خمسة وهي (1) فرض (2) وحرام (3) وندب (4) وكراهة (5) وإباحة. وفي هذا الحصر من الضبط والأحكام في الشريعة ما لا مزيد عليه لأن جميع ما يعرض للمكلف من جميع معاملاته لا يخلو من حكم من هذه الأحكام الخمسة وتكفل بذلك كله علم الفقه الذي دونه الأئمة المجتهدون المقلدون واتباعهم من العلماء والفقه هو الذي يسمى عندنا علم الحلال والحرام.

ومعنى الفرض ما طلبه الشرع طلبا جازما مثل الإيمان بالله الخ قواعد الإسلام الخمس وقالوا إن الفرض هو الذي يثاب العبد على فعله ويعاقب على تركه والحرام عكس الفرض أي المنهي عنه فيثاب العبد على تركه ويعاقب على فعله. والندب هو ما طلبه الشرع طلبا غير جازم كالنوافل وسائر المستحبات وهو مما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه، والمباح هو ما استوى الطرفان أي له أن يفعله وله أن يتركه كالبيع والشراء مثلا.

الحكم العقلي

س : ما هو الحكم العقلي ؟

ج : الحكم العقلي هو الذي يحكم به العقل الصحيح وهو إثبات أمر لأمر أو نفيه وهو عند المناطقة إدراك النسبة واقعة أو ليست واقعة وعند الفقهاء الأصوليين خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين.

الحكم العادي

س : ما هو الحكم العادي ؟

ج : الحكم العادي إسناد أمر لأمر إيجابا وسلبا كشبع وري للطعام والماء.

أقسام الحكم العقلي

س : ما هي أقسام الحكم العقلي ؟

ج : أقسام الحكم العقلي ثلاثة الوجوب والاستحالة والجواز وهذه حاجة علماء الكلام وقد تقدم الكلام عنه.

المذاهب

س : ما معنى المذاهب ؟

ج : المذاهب جمع مذهب والمذهب ما ذهبت إليه طائفة من المسلمين تابعة لإمام مجتهد وكانت كثيرة وهي محدثة أيضا ولم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحدثت في القرن الثاني فتكاثرت فانتهت الأمة في علم الكلام على ثلاثة الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة وانتهوا في علم الفقه على أربعة الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنبلية، فارتضتهم الأمة وصارت هذه المذاهب (رسمية) متفقا عليها وجاز بل وجب عندهم تقليد أئمتها وهم مالك وأبو حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل وقيل فيهم :

وواجب تقليد حبر منهم — كذا حكى القوم بلفظ يفهم

والحال أن كل واحد من هؤلاء الأئمة قال إن وافق مذهبي الكتاب والسنة فبه ونعمت وإلا فاضربوا به عرض الحائط. لأنهم غير معصومين ولا ألزموا الناس بما استنبطوا وما دونوا وإنما العامة والخاصة ارتضتهم.

رجوع الأمة الإسلامية إلى مذهب واحد

س : هل يمكن أن ترجع الأمة الإسلامية إلى مذهب واحد كما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين الذين هم السلف الصالح ؟

ج : يمكن وليس بمحال أن يكونوا على مذهب السلف بل هو الصواب كيف وقد قال مالك رحمه الله : من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عند سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة. لأن الله يقول :

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]

أرى أنه إذا اجتمع مؤتمر عام بحضرة الفطاحل من علماء المذاهب كلها أمكن أن يقرروا الأصول ويوفقوا بين الفروع فيؤسسون مذهبا سلفيا محضا سواء في العقائد أم العبادات وسائر الأعمال.

---

[1] سورة المائدة الآية 3.

أفضل المذاهب الفقهية

س : أي مذهب أفضل وأصح من هذه المذاهب الأربعة الفقهية ؟

ج : كلها فاضلة وكلها صحيحة إذ لا يمكن إنكار أي مذهب منها برمته ولا يمكن بحال أن يقال هذا المذهب صحيح وهذا غير صحيح لأنهم أئمة مجتهدون غير معصومين لا محالة فهم سواء في الاجتهاد وسواء أيضا في عدم العصمة وكان الإمام مالك يقول : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

الاقتداء بمذهب دون مذهب

س : ما معنى الاقتداء بمذهب دون مذهب ؟

ج : يجوز الاقتداء بهم جميعا لصحة اجتهادهم وارتضاء الأمة عملهم وإنما وقع الاختلاف في أن طلبة العلم المقلدين إذا أخذوا عن مذهب ودرسوه وتعلموا مسائله يسهل عليهم سلوك المذهب الذي أخذوا به ودرسوا قواعده وعلى هذا مشوا أولا مثل ابن القاسم وأشهب وسائر من أخذوا عن مالك، وأبي يوسف وزفر ممن أخذوا عن أبي حنيفة وكذلك أصحاب الشافعي واحمد بن حنبل رحمهم الله.

وقد كان الاقتداء بمذهب دون مذهب إذ كان الأئمة متتالين بعضهم عن بعض ولم يكونوا ببلد واحد وكان مالك بالمدينة المنورة وأبو حنيفة في العراق والشافعي ببغداد ثم في مصر واحمد بن حنبل بعد في بغداد والأوزاعي في الشام. ثم جاء بيدي شرح الزرقاني على الموطأ فوجدته قال :

فدونوا الأحكام مالك الموطأ في المدينة وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين،

وصنف ابن جريج بمكة والأوزاعي بالشام وسفيان الثوري
بالكوفة وحماد ابن سلمة بالبصرة وهشيم بواسط ومعمر باليمن
وابن المبارك بخراسان وجرير ابن عبد الحميد بالريّ وكان هؤلاء
بعصر واحد فلا يدري أيهم سبق اهـ.

فتأمل تجد ما قلنا صوابا وبالله التوفيق وذلك أن كل واحد
منهم مجتهد عامل بالكتاب والسنة والإجماع والقياس تارة متفقين
وتارة مختلفين شأن الفهم والاطلاع والاجتهاد، وقد بين هذا المعنى
ابن رشد في كتابه العجيب المسمى ببداية المجتهد، ونهاية المقتصد،
وتجده يقول أخذ مالك بهذه الآية وبهذا الحديث وأخذ ابو حنيفة
بكذا إلخ. وكذلك الشعراني في الميزان وبهذا لا يمكن بحال أن
يقال هذا المذهب صحيح وذاك غير صحيح إذ صار أولئك الأئمة
مثل الصحابة رضوان الله عليهم جميعا وقد ورد الحديث في
الصحابة وهو قوله صلى الله عليه وسلم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

هذا ولما وصلت إلى هذا الموضوع سافرت إلى مدينة بجاية
الشهيرة في القرون الأولى بعمرانها وعلمائها فجاءت بيدى رحلة
الرجل الصالح السيد الحسين الورتيلاني فطالعتها وعثرت على
نبذة معتبرة في الموضوع وهي بلفظها :

والسؤال التاسع قد سألته عن التناقض الذي بين المذاهب
لأن النبي واحد والملة واحدة ومع ذلك تناقضت الأحكام
وتضادت والقائل بها في الواقع واحد وهو النبي صلى الله عليه
وسلم والواحد لا يقول في صلاة واحدة باطلة صحيحة كيف وإن
مالكا يقول بأن الصلاة التي يبسمل المصلي فيها مكروهة أي
يبسمل في الفاتحة وإن تركها أولى ويلزم من ذلك صحة صلاة
تاركها قطعا وأما الإمام الشافعي فيقول ببطلانها ان تركت لأنها
آية من الفاتحة ومن ترك آية عمدا بطلت صلاته ومذهب مالك
انها ليست آية من الفاتحة فيا عجبا كيف تكون الصلاة في دين
واحد باطلة وغير باطلة هذا على من يقول ان المذاهب كلها على
الحق في الواقع إذ قال الإمام الشعراني يجب على كل مسلم أن
يعتقد الأئمة الأربعة كلهم على الإصابة في نفس الأمر فيلزم أن
بطلانها وصحتها حق وهو باطل لما علمت من أن اجتماع
الضدين محال وأما من يقول أن الإصابة بحسب ظن المجتهد فلا
كلام أو أن حكم الله هو ظن المجتهد في حقه وحق مقلده فلا قدح
أيضا وأن المصيب واحد غير أن الله لم يكلفنا بتعيينه فلم يبق
الاثوب التناقض فيما إذا حملت الاصابة لكل في نفس الأمر ولذا
قال الإمام المذكور حصلت لي وقفة منذ أزمنة متطاولة في مثل

هذا التناقض إلى أن دخلت الخلوة ففتح الله علي بأن بعض الأئمة شدد وبعضهم رخص الخ ما ذكره وهذا الجواب لا يغني شيئا لأن مالكا كرهه وذلك ليس لمقلده فقط والشافعي أوجبها على كل مصل باجتهاده فلما ذكرت ذلك لحضرة شيخنا الشيخ العفيفي وجماعة من العلماء فمنهم من فهم السؤال ومنهم من لم يصل إلى السؤال فضلا عن أن يجيب والشيخ المذكور فهم السؤال وأنكر وجود قولة بالإصابة من الجميع في نفس الأمر للأصوليين نعم قلت قد كان ذلك في المحلي فلما أتوا بنسخة منه وجدناه كذلك وأنكروا ما ذكره الشعراني بأن قالوا لم يذكره فإذا بشيخنا العفيفي قد أخرج كتابه فأصبناه كذلك فبعد ذلك سلم الكل الإيراد إلا الفاضل السيد محمد بن عمار مفتي الجزائر قد أنكر وصادر عن المطلوب غير أنه لم يقصد عنادا وبعد ذلك سلم اهـ.

قلت هذه المسألة لا تستحق هذه الحيرة كلها بين المذاهب كما هنا بين المالكية والشافعية وكذلك ما بين الحنفية والشافعية لأن هذه المسائل مثل مسائل القراءات تختلف وكلها عن النبي صلى الله عليه وسلم كما بين عمر بن الخطاب وهشام في قراءة سورة الفرقان فتحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ كل واحد منهما بغير الحرف الذي قرأ به الآخر فقال صلى الله عليه

وسلم لكل واحد منهما كذلك انزلت ومثل هذا ما ثبت عند مالك في الموطأ من الحديث الذي رواه عن العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز أخبره أن الرسول صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي فلما فرغ من صلاته لحقه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على يده وهو يريد أن يخرج من باب المسجد فقال « إني أرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها » قال أبي فجعلت أبطيء في المشي رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني قال « كيف تقرأ إذا فتحت الصلاة ؟ » قال فقرأت الحمد لله رب العالمين حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت » اهـ فظهر لمالك من قراءة أبي بدون بسملة بسماع النبي صلى الله عليه وسلم واقراره على ذلك أن البسملة ليست من الفاتحة ولا يبعدان يكون ما رواه الشافعي قراءة بالبسملة[1] فأخذ كل واحد منهما بما بلغه ولا يلزم من ذلك إلا صحة الأمرين ما داما عالمين

[1] بل قال الشافعي ان قوله قرأت الحمد لله إلخ مراد به الحمد لله فلا ينافي قراءة البسملة التي ثبتت في أحاديث أخرى.

إمامين مجتهدين مقلدين وهذا الذي يلزم كما بين عمر وهشام في القراءتين والحال أن مالكا والشافعي لم يتحاكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم يعاصراه وليسا بصحابيين فعلام هذه السخافة من اتباعهما. وقال العلامة الغزالي فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ[7] الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الأرحام إلى غير ذلك.

[7] النبيذ ما ينبذ في الماء من تمر أو زبيب فيشرب ماؤه بعد أن يحلو وهو إذا طال عليه العهد يصير مسكرا يحرم قليله وكثيره عند الجمهور وإنما يحرم أبو حنيفة القدر المسكر منه.

تقليد فقهاء المذاهب

س : أيصح تقليد فقهاء هذه المذاهب وخصوصا المتأخرين ؟

ج : يصح في أصول المذاهب المعتبرة والفقهاء العارفين الثقات العدول السالمين من الخرافات المفسدات للأصول والعقول كما سنبرهن عليه فيما بعد لأنا قد وقفنا على عقلياتهم في مستحسناتهم يأباها الدين والمذهب ويرمى بها فن الأصول عرض الحائط وقال الشاطبي في كتابه الاعتصام إن جماعة من فقهاء مالك أفسدوا فقه مالك.

قلت إن نظر الشاطبي صحيح ولكم وقفنا على خطايا للمتأخرين لا يقبلها الشرع العزيز فمن ذلك قول الدردير شارح المختصر في مذهبنا المالكي عند الكلام على مكروهات الجنازة. وقراءة عند موته كتجمير الدار وبعده وعلى قبره لأنه ليس من عمل السلف لكن المتأخرين على أنه لا بأس بقراءة القرآن والذكر وجعل ثوابه للميت ويحصل له الأجر إن شاء الله وهو مذهب الصالحين من أهل الكشف اهـ بالحرف.

فتأمل أيها الواقف كيف ضرب عن عمل السلف وداسه برجله ونبذه برأيه بمجرد ذكر الصالحين والكشف والحال أن الكشف والإلهام والمنام ونحو ذلك مما لا يتقرر بها حكم عند علماء الأصول وهو الحق لأن ذلك من دائرة لا حد لها ولا نهاية لميدانها. وفي المعيار ما لفظه : وسئل عز الدين بن عبد السلام عن ثواب القراءة المهدى للميت هل يصل أو لا ؟ فأجاب ثواب القراءة مقصور على القارئ ولا يصل إلى غيره وقال والعجب من الناس من يثبت ذلك بالمنامات وليست المنامات من الحجج إلى آخر ما قال وفيه – المعيار – أيضا أن السنة اتباع الجنازة بالصمت والسكوت ولا يجوز التهليل ولا التكبير ولا التصلية على النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه أيضا وسئل مالك عن زيارة القبور للاعتبار فأجاب : لا يعجبني فقيل له إنه يعتبر فقال ما يعتبر ؟ إنما يعتبر ترابا اهـ.

قلت أما الذي لا شك فيه من الثواب للأموات من قراءة القرآن هو أن يترك الميت آثارا وأعمالا في قراءة القرآن أي تحصيله في الصدور لا في القبور من تشجيع العاملين فيه وعليه بماله ونفسه في حياته أو بعد مماته بعمله الذي تركه أو يوصي به إلى غير ذلك لا ان يغفل عن القرآن وأحكامه كما نرى ويشح بماله ونفسه وهو يبذل في الملاذ والملاهي ويبذر في المآكل والمشارب ثم

إذا مات يجمع طلبة القرآن يقرؤون عليه كتاب الله ليبلغه بعد الموت ليعمل به، إن هذا إلا مثل فرعون الذي حكى الله عنه أنه طغى طول عمره،

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[1]

فكان الجواب له :

﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[2]

أقول أيضا : إنّ الشيخ الدردير لغرامه بالكشف والولاية والكرامة لم يتمالك أن يقول بذلك ولم يبال بمخالفة السلف والمذهب ثم لو سأله سائل عن دليله في ذلك فلا يجيب بغير ان شيخه أو سيده فلان كوشف له بذلك في سره أو ظنه إلى غير ذلك مما هو دأب المغفلين السكارى بحب الكشف والخوارق حتى إذا قلنا له إنّ العلماء الأصوليين مثلك والفقهاء المعتبرين قد قرروا أن الكشف والظن والوهم وكذا الإلهام، لا يتقرر بها حكم شرعي في الإسلام، قال أنتم لا تقولون بالكشف والولاية ونحن

---

[1] سورة يونس الآية 90.

[2] سورة يونس الآية 91.

نقول بذلك فيشيع عنا أنا أنكرنا الولاية والكرامة معترضين على أهل "لا إله إلا الله" فتسلط علينا الغوغاء والعامة وهناك الطامة الكبرى وهكذا دأب المتأخرين تحارب لا تفاهم لأدنى ملم ويظهر للمتأمل في طبع الشيخ الدردير رحمه الله أنه مغروم بالولاية والكشف شديد العناية بذلك فادخل الكشف في الفقه وقال في ابتداء شرحه المختصر ما لفظه وكان إسحاق والد المصنف من أولياء الله ومن اهل الكشف نص عليه المصنف في مناقب سيدي عبد الله المنوفي ونصه وكان الوالد رحمه الله من أولياء الله اخ اخ.

قلت لما كانت وظيفة الفقه أحكاما شرعية ذات أصول معتبرة وقوانين محبرة ينبغي أن يسلك الشيخ الدردير وأمثاله الوظيفة على تلك الأصول من غير زيادة ولا نقص عاملين بأمانة النقل قائمين بالوظيفة فلا يدخلون فيها ما ليس منها في شيء كيف وقد قال الغزالي من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا حسن الخاتمة وهي دعوى الولاية. وقال في هذا المعنى الشيخ ميارة في كبيره على ابن عاشر في خاتمة الكتاب مما كتبه له العلامة أحمد السوسي البوسعيدي ما لفظه وكذا يظهر لي ان لا يبالغ المؤرخ في الثناء مما يختص الله بعلمه من أفعال القلوب كالزهد والولاية إلا

أن يكون من أهل الإذن[1] فإن الزهد هو خلو القلوب عن الميل إلى الدنيا ولم يتعلق بيده شيء منها لعدم القسمة الأزلية له منها إلى أن قال وكذا لفظ الولاية وهو أشد من الأول لأنه يؤذن بحسن الخاتمة لقوله تعالى :

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2]

وهو حسن الخاتمة تبشرهم الملائكة بذلك وكيف يصل المؤرخ إلى معرفة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم في ابن مظعون « لا ادري ما يفعل به وأنا رسول الله واني لأرجو له الخير وقد أتاه اليقين »[3] ثم ذكر قول الغزالي المذكور آنفا اهـ.

وبالجملة إن أقوال فقهاء القرون الأخيرة قلما تخلو من الهفوات، أو ينجو مؤلفوها من العثرات، خلاف الأصول المعتبرة

[1] قوله من أهل الإذن يفيد أن هناك من يؤذن له بطريق الكشف أيضا ان يعين الزاهد والولي وهذا من علم الغيب الذي لا يستطيع أحد أن يدعيه اهـ من حاشية الأصل.

[2] سورة يونس من الآية 62 إلى الآية 64.

[3] رواه البخاري.

وقال الدردير أيضا في صلاة العيد عند قول المصنف وافتتح بسبع
تكبيرات في الإحرام فإذا اقتدى مالكي بشافعي فلا يكبر معه
الثامنة وكذلك إذا اقتدى مالكي بحنفي فلا يؤخر التكبير اهـ.

فتأمل تجد أن الغفلة والتعصب وسوء الظن بالغة حدها فكأن
الشافعي والحنفي لا تصح صلاتهما وكأنهما غير مسلمين والحال
أن من المقرر في المذهب المالكي جواز الاقتداء بالمخالف في
الفروع والاقتداء يكون في الأقوال والأفعال إذ لا يعقل أن يركع
الإمام مثلا ويسجد المأموم أو يسجد المأموم ويرفع الإمام وقل
كذلك في الأقوال.

وأغرب مما تقدم وأعجب ما ذكره الشيخ عليش في فتاويه
من إثبات أحكام شرعية بطريق الكشف ودعاوي طويلة وعريضة
لا تظن أن يقول بها غير مجنون أو معتوه أو سكران ذلك بأنه
سامحه الله اثبت ما سلمه أن المؤلفين يشاورون النبي صلى الله عليه
وسلم فيما يثبتونه من الأحكام يقظة وهو حي ولا يثبتون حكما
إلا كذلك وإلى القارئ جملة من ذلك بالحرف :

قال العارف الشعراني (فصل) في بيان استحالة خروج شيء
من أقوال المجتهدين عن الشريعة وذلك لأنهم بنوا مذاهبهم على
الحقيقة التي هي أعلى مرتبتي الشريعة كما بنوا على ظاهر الشريعة

على حد سواء لكنهم رضي الله عنهم كانوا أهل الإنصاف وأهل
كشف فكانوا يعرفون أن الأمر يستقر على عدة مذاهب
مخصوصة لا على مذهب واحد فأبقى كل واحد لمن بعده عدة
مسائل عرف من طريق الكشف انها تكون من مذهب غيره فترك
الأخذ بها من طريق الانصاف والاتباع لما أطلعهم الله عليه من
طريق كشفهم لا من باب الإيثار والرغبة عن السنة وسمعت
سيدي عليا الخواص يقول لا يصح خروج شيء من أقوال الأئمة
المجتهدين عن الشريعة أبدا عند أهل الكشف قاطبة وكيف يصح
خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد أقوالهم في الكتاب
والسنة وأقوال الصحابة ومع اجتماع روح أحدهم بروح رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسؤاله عن كل شيء توقفوا فيه من
الأدلة هل هذا من قولك يا رسول الله أم لا يقظة ومشافهة
وكذلك كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن كل شيء من
الكتاب والسنة قبل أن يدونوه في كتبهم ويدينوا الله تعالى به
ويقولون يا رسول الله قد فهمنا كذا من آية كذا وفهمنا كذا من
قولك في الحديث الفلاني كذا فهل ترتضيه أم لا ويعملون بمقتضى
قوله وإشارته صلى الله عليه وسلم ومن توقف فيما ذكرناه من
كشف الأئمة ومن اجتماعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
من توقف فيما ذكرناه من كشف الأئمة ومن اجتماعهم برسول

الله صلى الله عليه وسلم من حيث الأرواح قلنا لـه هـذا مـن جملة كرامة الأولياء اهـ باخرف[1] ثم قال بعد ذلك ما لفظه :

ورأيت ورقة بخط الشيخ جـلال الـدين الـسيوطي عـند أحد أصحابه هو الشيخ عبد القادر الشاذلي مراسـلة شـخص سأله في شفاعة عند السلطان "قايتباي" اعلم يا أخي أني اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقـتي هـذا خمـسا وسـبعين مـرة يقظـة ومشافهة ولـولا خـوفي من احتجابـه صـلى الله عليـه وسـلم عـني بـسبب دخـولي للـولاة لطلعـت إلى القلعـة وشـفعت فيـك عـند الـسلطان وانـي رجـل مـن خـدام حديثـه صـلى الله عليـه وسـلم واحتـاج إليـه في تـصحيح الأحاديـث الـتي ضـعفها المحـدثون مـن طريقهم ولا شك أن نفع ذلك أرجح من نفعك يا أخي اهـ.

فـاعتبروا يـا أولـي الأبـصار : كيـف سـلم الـشيخ علـيش للشعراني بـلا قيـد ولا شـرط والـشعراني كـذلك لعلـي الخـواص وكذلك السيوطي في قضايا ممنوعة شرعا وان من الأصول الفقهية أن النافي لا يطالب بالدليل وأن البينة على من ادعى وان إثبات

---

[1] الدعوى لا تثبت بدعوى مثلها تحتاج إلى الإثبات. وما زعموه يبطل معنى الاجتهاد وثوابه فإن معناه أن كل هذه الأحكام غير المنصوصة في الكتاب والسنة في عصره صلى الله عليه وسلم ثبتت بنصوص عنه بعد موته فلم يبق للاجتهاد وجود مع أنهم أجمعوا على صحة الاجتهاد ووجود المجتهدين وعلى أن الأحكام الاجتهادية كلها ظنية. وفي زعمهم مفاسد أخرى. وكتبه محمد رشيد رضا.

دعاوي كهـذه أصعب مـن مـخ البعوض فلله در القائـل : « إن الهوى ما تولى يُصم أو يَصم ».

وقال في المعنى صاحب تفسير روح المعاني رحمه الله ما نـصه :

ثم اني أقول بعد هـذا كلـه ان مـا نـسب إلى بعـض الكـاملين مـن أرباب الأحوال من رؤية النبي صـلى الله عليـه وسـلم بعـد وفاتـه وسؤاله والأخذ عنه لم تعلم وقوع مثله في الصدر الأول وقـد وقـع اختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم، وإلى أبي بكر وعلي ينتهي أغلب سلاسل الصوفية الذين تنسب إليهم تلك الرؤية ولم يبلغنا أن أحدا منهم ادعى أنه رأى في اليقظة رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم وأخذ عنه ما أخذ وكذلك لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسـلم ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال تحيره وقد صح عن عمر رضي الله تعالى عنـه أنـه قـال في بعـض الأمـور ليتني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصح عـندنا أنه توصل إلى السؤال منه صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة نظير مـا يحكى عن بعض أرباب الأحوال وقـد وقفـت علـى اخـتلافهم في حكم الجد مع الإخوة فهـل وقفـت علـى أن أحـدا مـنهم ظهـر لـه الرسول صلى الله عليه وسـلم فأرشـده إلى مـا هـو الحـق فيـه وقـد بلغك ما عرا فاطمة رضي الله تعالى عنهـا مـن الحـزن العظـيم بعـد وفاته صلى الله عليه وسلم وما جرى لها في أمر "فدك" فهـل بلغـك

عنه عليه الصلاة والسلام أنه ظهر لها كما يظهر للصوفية فبلّ لوعتها وهوّن حزنها وبين الحال لها ؟ ؟ وقد سمعت بذهاب عائشة إلى البصرة وما كان من وقعة الجمل فهل سمعت تعرضه لها قبل الذهاب وصده إياها عن ذلك لئلا تقع أو تقوم الحجة عليها على أكمل وجه – إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصر كثرة والحاصل أنه لم يبلغنا ظهوره صلى الله عليه وسلم لأحد من أصحابه وأهل بيته وهم مع احتياجهم الشديد إلى ذلك انتهى.

قلت ادعاء ما لا يثبت شرعا لا عبرة به ولا حاجة للأمة إليه، إذ لا يمكن بحال أن يثبت أحد دعوى رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة ونحن معشر المكلفين غير مكلفين بتصديق ذلك. يا ترى إذا ادعى زيد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فقال له كذا وكذا وادعى عمرو أيضا أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وقال له عكس ما قال لعمر فأيّ الدعوين تصح ؟ وإذا ادعى أيضا خالد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وقال له إن دعوى زيد وعمرو كاذبتان خيال وأضغاث أحلام فكيف العمل.

والدعاوى ما لم تقيموا عليها   بينات أبناؤها أدعياء

وفي شرح البيجوري على جوهرة التوحيد ما لفظه : فاختلفوا هل يغسل في ثيابه – يعني النبي صلى الله عليه وسلم –

أو يجرد منها فألقى الله عليهم النوم وسمعوا من ناحية البيت قائلا يقول : لا تغسلوه فإنه طاهر، فقال العباس لا نترك سنة لصوت لا ندري ما هو فغشيهم النعاس وسمعوا قائلا يقول غسلوه وعليه ثيابه فان ذلك إبليس وأنا الخضر اهـ.

قلت سواء صح هذا الخبر أو كان غير صحيح[7] فالعبرة بقول العباس رضي الله عنه ومتانته في تمسكه بالسنة وعدم مبالاته بما يصعب إثباته أي أخذه باليقين. وبالجملة أن هذه الدعاوى العريضة الطويلة لم تكن عند سلف الأمة من الصحابة والتابعين إنما أحدثها العشاق والغلاة المتصوفة السابحون في بحور الخيالات والضلالات الخارجون عن قيود الشرع ومناهجه القويم.

وكذلك تحير الصحابة رضوان الله عليهم في شأن جمع القرآن العظيم وعدم جمعه فتوقف أبو بكر واستثقل زيد بن ثابت واختاره عمر رضي الله عنهم ولم يخطر ببالهم ان ينتظروا رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ولا مناما مثلما ادعى الجلال السيوطي في اثبات الحديث وتصحيحه بمشورة النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأنه رآه خمسا وسبعين مرة وهل ادعى هذه الدعوى مالك والبخاري ومسلم وغيرهم من أئمة الحديث والاجتهاد، ثم لما

[7] الحق أنه غير صحيح.

كان الجلال السيوطي يثبت الحديث بمشورة النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فما بال كتابه الجامع الصغير أكثره ضعيف ؟ وقد أحسن بعض السادة المحققين في تلقيبه السيوطي هذا حاطب ليل.

وفي حاشية العدوي على الخرشي ما حاصله ان الشيخ علي الاجهوري أخبره من يثق به أن رجلا من طائفة كذا من طوائف المسلمين مات في الصحراء ودفن هناك ثم كشفوا عليه ووجدوا رأسه منقلبا رأس حمار إلخ.

قلت إثبات هذا الأمر محال بحيث لو يتأتى اثباته لتابت تلك الطائفة ولكن لا تثبت شرعا وما لا يثبت شرعا فيجب أن تنزه عنه الكتب الشرعية ثم إن تلك الطائفة من السهل عليها أن تقول ان طائفة الشيخ علي الاجهوري ومن أخبره إذا ماتوا تنقلب رؤوسهم بغالا مثلا وما يمنعهم من القول بهذا مجاراة للخصم ؟ ثم إن غير المسلم إذا أراد أن يسلم فإنه يختار أية طائفة من المسلمين لا تنقلب رءوسهم في قبورهم رءوس حمر وبغال وخنازير فيكون منها إذا أسلم ؟ وبالتالي يتوقف عن الإسلام وهكذا جنى المسلمون على دينهم القويم.

هذا ويلزم أن يكون للمسلمين مجمع علمي عام يؤسس في مصر وسط أوطان المسلمين مثل "الأكاديمي" عند الفرنساويين

ليوافق على الكتب الصحيحة وينبذ السقيمة ويوفق بين المذاهب الكلامية والفقهية ويضبط التصوف في حدود الشرع ولا يتعداها وأرى هذا الأمر مفيدا للأمة وها أنا ذا اقترحته.

التصوف والفقه

س : هل مذاهب التصوف كمذاهب الكلام والفقه ؟

ج : هو كمذاهب الكلام لا الفقه إذ الفقه مضبوط بالأصول الأربعة الكتاب والسنة والقياس والإجماع ولك أن تقول كذلك علم الكلام والتصوف لهما أصول تضبطها ولكنهما بحران لا نهاية لهما ولا يخاضان وما خاضهما أحد لم يرجع بالخيبة والفشل ذلك بأن أصحابها خرجوا عن الأدلة الشرعية إلى الأدلة العقلية فتاهوا وتحيروا وقد وقفت آنفا على ما في علم الكلام ولا أكون مبالغا ولا مبعدا إذا قلت لك إن التصوف أضل من علم الكلام وأصعب، وفي الحقيقة إن علم الكلام مضبوط بالكتاب والسنة وبعقيدة السلف[1] وقد يقال إن التصوف ينبغي له أن يكون كذلك أي مضبوطا بالكتاب والسنة وعقيدة السلف ولكن هيهات هيهات.

س : اسمح لي يا أستاذ قبل أن تزيد لي في التصوف ما يشبه ما تقدم في علم الكلام أسألك وقد علمتني آجرك الله أن أقسام

[1] كذا في الأصل وينظر مع ما تقدم من ذم السلف له.

الحكم الشرعي خمسة مضبوطة كما قلت معجبا بها وأنا كذلك لأنها قانون عام يرجع إليه فما حكم التصوف إذا ؟

ج : لقد سألت عن عظيم ولا عليّ إذا قلت لك إني عاجز عن الجواب وكلمة لا أدري أسلم وأنا مسلم مؤمن آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره حلوه ومره وأقيم الصلاة وآتي الزكاة وأحج البيت ان استطعت وأصوم رمضان وأحل ما أحل الله في كتابه وأحرم ما حرم الله في كتابه ولا حكم لي أرجع إليه وأنقاد له طوعا أو كرها غير حكم ذلك الكتاب وسنة الرسول الصحيحة مما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ثبوتا لا يحتمل النقيض وعقيدتي سلفية أي ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأقول ما قد قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني : والذي نرتضيه دينا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة والدليل القاطع السمعي في ذلك وان إجماع الأمة حجة متبعة فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع إلى أن قال : اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح، وأني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور اهـ.

قلت يريد بقوله هذا رحمه الله عدم التمادي في الأخذ والرد في التأويل وفي علم الكلام الذي لا يسلم من خاض فيه بغير ما لسلف الأمة الصالح كما تقدم للشافعي وأحمد بن حنبل عند الكلام على علم الكلام.

فقد بان لك أيها السائل أن المذاهب الصوفية كمذاهب الكلام وزيادة في غموض ذلك بأن التصوف تدخل في الباطن واعتبر الكشف والخوارج وتلك دوائر لا حد لها ولا نهاية ولا ضابط يضبطها فصار أمر التصوف فوضى لا حاكم له بالرغم من أنهم يقولون بأن ما خالف الكتاب والسنة وسائر أحكام الشريعة ليس من مذهبهم ولا طريقتهم كما قال الإمام أبو القاسم القشيري : فكل من كان للشرع عليه اعتراض فليس بولي بل هو مغرور مخادع.

قلت ذلك بأنهم لا يستطيعون أن يقولوا بعدم اعتبار الكتاب والسنة والخروج عن ذينك القيدين الأصليين في الإسلام فإذا قالوا بذلك فقد كفروا وضلوا وأضلوا، ولكنهم يقولون هكذا أي بعدم الخروج عن الكتاب والسنة وهم قد خرجوا كما سيأتي.

هذا وقد ظهر لي الجواب أن حكم التصوف الندب مع القيود الشرعية الفقهية وكذلك لي أن أقول الكراهة ولست

بمخطئ ان قلت بالمنع والحرمة بسبب ما أحدثوا فيه وهو من أصله محدث إذ لم يكن السلف الصالح يعرفون هذا صوفي وذاك غير صوفي أو ذا له طريقة وهذا لا طريقة له.

ثم إذا عرضنا أعمال المتصوفة في هذه القرون الأخيرة على قواعد الشرع نجد منها ما يرمي به الشرع عرض الحائط وقد ندد بذلك جمهور الفقهاء من المتقدمين ونحن الآن كذلك نندد ما استطعنا خدمة للدين والأمة، وبالتالي نؤدي الواجب فرارا من وعيد الآية :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[1]

قال عبد الرحمن الثعالبي في تفسير هذه الآية من تفسير الجواهر الحسان الآية توبيخ لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم قال جمهور من العلماء الآية عامة في كل من علمه الله علما وعلماء هذه الأمة داخلون في هذا

[1] سورة آل عمران الآية 187.

الميثاق وقد قال صلى الله عليه وسلم « من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار »[1] اهـ.

هذا واني أسطر ما تيسر مما لا حجة للسادة المتصوفة فيه من الكتاب والسنة ولا مستند من الفقه والأحكام الشرعية الإسلامية بالرغم مني، وذلك ان لي صحبة ومودة مع بعض الشيوخ الصوفين السالكين مثل أبي العباس الشيخ أحمد آل يوسف الجنادي صاحب زاوية سيدي منصور العامرة بفضله وجده واجتهاده وخرج طلبة علماء فقهاء ونحاة وغلّب العلم على الطريقة ونقم على الزواوة الذين يمنعون الإناث من الميراث فصاروا رجعيين أي إلى الجاهلية الأولى قبل الإسلام وهو فقيه نحوي حافظ لكتاب الله بعدة قراءات ورش، وقالون، وعشر، وأما صلاحه وإجماع أهل القطر على ذلك وفصله النوازل المعقدة وكونه حكما لدى الخاصة والعامة فمما أحس به الجماد ورآه الأعمى وسمعه الأصم، ومثله الشيخ أبو العباس السيد أحمد بن عليوة المستغانمي ذو المحامد والمكارم محب السنة والجماعة المتفاني في خدمة الإنسانية والإرشاد إلى النظافة والفطرة السليمة، وترى مريديه على نظافة وطهارة تامتين، وقد امتاز أتباعه باعفاء اللحي

[1] رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وقص الشوارب متحلين بتلك السنة والفطرة الإسلامية العربية أنقذهم من تشويه الوجوه عند أهل العصر من حلق اللحي المذموم طبعا وشرعا وإن حلق الرجل لحيته يعادل بطريق المشاكلة حلق المرأة رأسها حذو النعل بالنعل ومن أعماله المبرورة إنقاذ الفقراء والمعوزين والسكارى والشبان المستهترين مما هم فيه وجلبهم إلى طريقته المثلى من الطهارة والنظافة وهذا مما نشكرهم عليه، ويحب طلبة العلم ويعظمهم ويقربهم ويدنيهم منه ويأخذ بآرائهم.

وبالجملة إن محدثات المتصوفة كثيرة فلا نرضاها ولا يرضونها فإذا كانت عن جهل فقد بينها من قبلنا ونبين نحن ما استطعنا فيلزم الامتثال للشريعة وإذا كانت عن عمد وضلال فنتبرأ كما تبرأ الذين من قبلنا وعليه نقول أين للسادة المتصوفة القول بالقطب والغوث والديوان وتصرف الأولياء الأموات ؟؟؟ فليأتوا بحديث صحيح عنه ودليل من الكتاب والسنة والأثر والشريعة في القرون الثلاثة الأولى وخير القرون، ومن أين لهم الرقص والتصفيق – المكاء والتصدية.

حكم الشرع في هذه المحدثات

س : ما حكم الشرع العزيز في هذه المحدثات ؟

ج : الجواب المنع والحرمة قال الشيخ عليش وهو أكبر صوفي من المتأخرين وأكبر مؤلف في فقه مالك وتولى مشيخة الأزهر وقد أورد قول أبي بكر الطرطوشي في فتاويه ما لفظه. إن مذهب التصوف باطل وضلالة ثم إن الشيخ عليش سئل هذا السؤال :

ما قولكم في جماعة يدعون بمشايخ الطرائق كالحفناوية والسمانية والشاذلية والنقشبندية والأحمدية وغيرهم يسلكون الخلق ويجعلون لهم بدايات معروفين ولا يتجاوز احدهم الآخر ويقع بينهم تشاجر فإذا قتل أحد منهم الآخر فهل يقتص من القاتل وحده أو من شيخ الطائفة ؟ ويجعلون لهم على الناس عادات فهل هي من أكل أموال الناس بالباطل ؟ ويجعلون لهم أيضا البدايات ويكبسونهم[1] وهذا يدعى عندهم بالسروح ويلتف معه في خاف ويختلي به ويكشف دبر الولد ويجعله على قبله ولا ينتصب أي لا ينعظ ويعد ذلك كرامة فما الحكم ؟ وضحوا.

[1] معنى كبس كمعنى عزّم ورقى عندنا بالمغرب أي قرأ عليه ومسح له وأما العادات فمعناها الزيارة وما يعطى للشيوخ من الدراهم.

فأجبت بما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نعم يقتص من القاتل وحده قال الله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وأخذ العادات من أكل أموال الناس بالباطل ومن ثبت عليه اللواط بقانونه الشرعي يرجم والالتفاف والخلوة وكشف الدبر والجعل المذكورات حرمتها إجماعية ضرورية يكفر منكرها.

(قلت) إنه لم ينصف أحد من العلماء والمتكلمين في التصوف مثل العلامة ابن خلدون رحمه الله إذ قال : فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على الآخرة باسم الصوفية والمتصوفة، وان المتقدمين منهم لا عناية لهم بالكشف، ثم إن قوما من المتأخرين انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم ثم إن هذا الكشف لا يكون صحيحا عنده إلا إذا كان ناشئا عن الاستقامة لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وان لم تكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين، وان هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملأوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين

وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وآلهية الأئمة وهو مذهب لم يعرف لأولهم فاشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب الخ اهـ.

وهكذا ابتدع المتصوفة أمورا وأشياء من أسماء واصطلاحات لا أصل لها في الدين وسرت إليهم من الشيعة الباطنية والإسماعيلية الغلاة في آل البيت وتعلق بذلك الأمامية من الشيعة حتى قالوا بعدم موت محمد بن الحنفية وجعفر الصادق رضي الله عنهما وكذلك المهدي المنتظر ووضعوا لذلك من الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى ومن أجل ذلك أشار علماء السنة في العقائد أن الخليفة لا يختص بالهاشميين ولا يكون مخفيا ولا معصوما كما عند الغلاة من الإمامية الذين قال قائلهم:

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الجيش يقدمه اللواء
يغيب فلا يرى فيهم زمانا ... برضوى عنده عسل وماء

وذكر المرحوم الشيخ الحسين الورثيلاني في رحلته المشهورة ما لفظه:

(غريبة) قال شيخنا أبو سالم في رحلته لما قدم ركب أهل العراق وكان غالبهم روافض بل كلهم وكانوا يكثرون زيارة مشهد السيد إسماعيل رضي الله عنه كغيره من مشاهد أهل البيت وكانوا يأتون إليه أفواجا قلما ينقطع زائر منهم أيام إقامتهم بالمدينة قال فبينما نحن ذات يوم جالسون إذ جاءت طائفة منهم فيهم بعض من يشار إليه منهم فزاروا وسلموا فكان من جملة سلامهم أن قالوا السلام عليك يا سيدنا إسماعيل وبالغوا في تعظيمه إلى أن قالوا نشهد أنك على دين أخيك موسى الكاظم ونشهد أنك غير مخالف له متبع لطريقته — في هذيان كثير — وسبب ذلك والله أعلم أن الرافضة قبحهم الله منهم طائفة تقدم إسماعيل على أخيه يقولون إنّه الإمام بعد أبيه وإنّه أحد الأئمة الاثني عشر المعدودين عندهم يعتقدون فيهم العصمة وهذه الطائفة تسمى الإسماعيلية ومن سوى هؤلاء الروافض يعتقدون الإمامة لأخيه لا ينازعه في ذلك ويرون أن الإسماعيلية كاذبون أي مفترون في ادعائهم الإمامة له ولأجل ذلك ينزهون إسماعيل عن مخالفة أخيه رضي الله عنه.

ومن علم أحوال هؤلاء الأئمة من أهل البيت وأسلافهم وأولادهم رضي الله عنهم وعلم ما كانوا عليه من تعظيم السنة ووفور العلم وتعظيم أصحاب جدهم صلى الله عليه وسلم علم براءتهم من كذب هؤلاء الأرجاس وافترائهم عليهم أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان، ولا جاء في سنة نبيه بيان. ولما خرجت الطائفة المذكورة من المشهد وجاءوا إلى البئر الخارجة ووقفوا عليها وترحوا ودعوا وقال لهم كبيرهم ان هذه البئر هي التي دخل فيها جعفر الصادق رضي الله عنه فغاب عن أعين الناس إلى الآن وهم يظنون أنه قدمات أو كلاما كهذا فقضي علينا بالعجب العجاب من حمقهم واعتقادهم في آل البيت الذي آل بهم إلى تنزيههم عن الموت وذلك معتقد الروافض بأجمعهم في الإمام الثاني عشر من أئمتهم وهو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان – إلى أن قال أعني صاحب الرحلة السيد الحسين : والعجب كل العجب من متابعة أهل التصوف في ذلك لهم حسبما نقله سيدي عبد الوهاب الشعراني عن بعض مشايخه وأنه اجتمع به وأخبره بمقدار عمره وأنه جاوز السبعمائة سنة إذ ذاك بل في كلام بعضهم ما يشير إلى أن الشيخ محي الدين بن العربي يقول بذلك ولو لا خوف الاطالة لنقلت ذلك والعلم عند الله تعالى فإن صح عن هؤلاء

الأئمة أنهم قالوا ذلك فنحن ممن يعتقدهم ويجزم بصدقهم فيما يقولون اهـ بالحرف.

فتأمل أيها الواقف على عجيبة أخرى وسخافة العقل والجبن الأدبي والاستسلام للضلالة والضرب عن الشريعة فإن الشيخ الحسين لم يكد ينتهي من التعجب من خرافات الإسماعيلية والجعفرية والإمامية حتى صدق الشعراني ومحي الدين بن العربي بلا تمحيص ولا تحقيق ولا تدقيق وهذا محض انقياد أعمى وتسليم للدعوى بلا اثبات ولا بينة، وهذه هي الطامة الكبرى من المتصوفة والباطنية إذا قال قائلهم من شيوخهم صدقوا ما قال ولو صادم الشريعة وضرب عنها وعكس الطبيعة فإنه لا يكذب ولا يفند سيما إذا قال قيل لي في سري.

وعلى ذكر هذا الرجل الشهير بالصلاح الشيخ الحسين الورثيلاني صاحب الرحلة المشهورة في قطرنا الجزائر أقول : أنه من حيث تقوى الله والصلاح وتحمل المشاق في سبيل الله وحجه مرتين ماشيا بأهله فهو رجل عظيم، ويظهر أنه فقيه زاهد متعبد محب للصلاح والشرفاء إلا أنه تجاوز الحد في اعتقاده الكشف والولاية ونحو ذلك من الخوارق الباطنية والغيب في غير محله، ويكيل ذلك كيلا يسيرا، ويكتال كيل بعير، بحيث إذا قيل له في

حجر إنه ولي فإنه يزوره ويدعوه، وذلك مما يدلنا على أن الولاية والكرامة والإيمان بكل غيب وكشف وغير ذلك من الدعاوي العريضة الطويلة راجت ونفقت في عهده – القرن الحادي عشر – ويا للأسف.

وقد أدهشتني أمور سطرها في رحلته تلك من محدثات المتصوفة كقوله في ابتداء زيارته من مدينة بجاية أن جميع من اجتمع بهم من الأحياء ومن زارهم من الأموات كلهم أولياء أقطاب. وافتن رحمه الله بالكشف إذ يقول واجتمعت بفلان وهو من أهل الكشف وفلان من الأقطاب، وفلان من الابدال والمتصرفين في الغيب، كقوله في صحيفة (17) أنه اجتمع ببعض الصالحين فقال له – يعني ذلك الصالح : لو شئت أن تصير لي الجبال ذهبا لفعلت. فصدقه في ذلك واعتقده وسلمه بلا قيد ولا شرط.

وفي صحيفة 25 ذكر له بعضهم ممن في بجاية أن المعركة الواقعة في الأندلس بين العرب المسلمين والإفرنج وانهزام هؤلاء إنما كان ذلك بسبب مدفع واحد وطلقة واحدة أطلقها ذلك الصالح من بجاية فانهزم الإفرنج، فصدق السيد الحسين بذلك.

وذكر في صحيفة (21) أن مقبرة هناك في بجاية دفن فيها اثنا عشر ألفا من الأقطاب وهلم جرا. ونقول إن هذه الأمور لا تثبت

شرعا إن ثبتت في عقول أمثال السيد الحسين وهم كثيرون في ذلك الزمن وفي هذا الذي نحن فيه وكذلك لا تثبت عند السلف الصالح ومن ادعى بشيء فعليه بيانه ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقاتلون أو يعتقدون ما اعتقد السيد الحسين وأضرابه.

وخير أمور الناس ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

ولا ندري ماذا يقول السيد الحسين وأضرابه إذا قلنا لهم ما دليلكم على هذه الدعاوي وما بيناتكم ؟ وإن من قواعد علم الأصول ان النافي لا يطالب بالدليل فنحن نافون أو إذا قلنا هم مدعين بعكس ما تقولون وما حجتهم وما حجتنا ؟ السلب إذ الأصل في الأشياء العدم. ويا للأسف وثم الأسف على أن تسعة وتسعين في المائة من أهل القطر يسلمون جميع ما ذكر للسيد الحسين بلا قيد ولا شرط كما يسلمون لأمثاله وما أكثرهم من ذلك القرن إلى هذا القرن فلا نكاد نقضي شيئا من غير أن يقضيه أصحاب الكشف والباطن وعلامو الغيوب.

وقال العلامة صاحب تاريخ (الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى) ما حاصله : لما استولى الأسبان على الأندلس وتم الجلاء وزاد في طلب شطوط شمال أفريقيا أدهش الناس ذلك الأمر وكان

في أوائل القرن العاشر الهجري فانزوى الناس في الزوايا وضعفوا أي ضعف فتمسكوا بالخوارق وتسوروا محراب التصوف والولاية والكشف والباطن ونحو ذلك اهـ.

قلت ذلك شأن الضعف والجبن، وهو يقرب مما قاله شيخ التاريخ ابن خلدون في (فصل أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل) ولفظه : وسبب ذلك أن المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدتها فإن انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها، فما رئموا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة، ومن عجز عن المدافعة، فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة، واعتبر ذلك في بني إسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام إلى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا :

﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾[1]

أي يخرجهم الله تعالى بضرب من قدرته غير عصبيتنا وتكون من معجزاتك يا موسى – إلى أن قال – وعجزوا تعويلا على ما علموا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق

---

[1] سورة المائدة الآية 22.

المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به نبيهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم الله بالتيه اهـ.

قلت لقد وقعنا في مثل هذا حذو النعل بالنعل، وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط عند قوله تعالى في حق بني إسرائيل :

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾[1]

ان لهذه الأمة حظا وافرا من هذا المعنى. ورحلة الشيخ سيدي الحسين هذه مفيدة من حيث الفوائد العلمية والجغرافية مشحونة بها وأما من حيث العربية والإنشاء فإلى العامية أقرب منها إلى الفصيح.

---

[1] سورة الأعراف الآية 169.

اختلاف أصحاب الطرق

س : أصحاب الطرق الصوفية متفقون أو مختلفون.

ج : قد قدمت لك أنها كثيرة تبلغ نحو الستين طريقة ولا شك أنها مختلفة بقدر تعددها ولو لم تختلف لاتحدت ولذلك قلت في بعض كتبي إنها يخشى أن تخلف الفرق المذكورة في الحديث إنها اثنتان وسبعون التي كادت تنقرض وهذا مما يقضي بالأسف، وبالفعل نرى اصحاب الطرق متنازعين ومتشاجرين كل واحد من أتباع تلك الطرق – وهم يعدون بالملايين إذ الأمة كلها متصوفة بقضها وقضيضها – يقول للآخر طريقتنا نحن ليست هكذا وشيخنا ليس كشيخكم وذكرنا وحضرتنا ليس كذكركم وحضرتكم[1].

[1] سئل شيخ الطريقة القادرية بطرابلس الشام في القرن الماضي عن سبب تعدد الطرائق واختلاف أعلامها وألوان عمائم شيوخها وخلفائها فأجاب وكان منصفا لا دجالا بقوله : تغيير شكل، لأجل الأكل.

وحدة الإسلام وتعدده

س : أهم مسلمون ؟ والإسلام واحد أو متعدد ؟ متفق أو مختلف ؟

ج : هم مسلمون والإسلام واحد لا متعدد ولا متفرق وأمرهم الله تعالى أن يتفقوا ويعتصموا به ولا يتفرقوا إذ قال لهم : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1]

س : أليس هذا التعدد والانقسام مما يحزن الصديق ويسر العدو على تقدير وجود عدو للإسلام والمسلمين ؟

ج : هو مما يحزن لأنه ضعف من جميع الوجوه ونجد هؤلاء المتصوفة إلا النادر منهم والنادر لا حكم له لا يدرون ما هي السياسة وما هو التاريخ وما هي السيرة النبوية وما هي الوطنية

[1] سورة آل عمران الآية 103.

وما هي الجنسية التي تتطاحن عليها أمم أوروبا وما هو الاقتصاد السياسي أو الإداري وما هو تنازع البقاء إلى غير ذلك من المسائل الحيوية فالعناية عندهم هي الولاية والكرامة والدرجات الكاملة عند الله في الآخرة،

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾[1]

[1] سورة آل عمران الآية 198.

صحة الإسلام بدون هذه الطرق

س : وهل يصح الإسلام بدون هذه الطرق ؟

ج : يصح لأنها محدثة وليست واجبة إذ هي جائزة الترك، ومن قواعد الأصول ان جائز الترك ليس بواجب[1] وتقدم ذكر سبب حدوثها وهو لما فشا إقبال الخلق على الدنيا اختص المدبرون عنها باسم الصوفية والآن صار هؤلاء المتصوفة هم المقبلون على الدنيا كما علمت والصالحون منهم ينكرون ذلك وقليل ما هم وكذلك إذا كثر أهل العلم وتقدموا في المعارف وسائر الفنون والصنائع وساد الزعماء المتنورون تجنح الأمة إليهم ويقودونها في سائر المواطن وإذ ذاك يرجع المتصوفة إلى حيث جاءوا فيختصون بالعبادة والزهد والقناعة ويختص الزعماء بإدارة أحوال الدنيا والملك فترجع رهبانية « ولا رهبانية في الإسلام » فيضطر القادة كما في بر الترك إلى فصل الديانة عن الحكومة وهذا مضيعة

[1] يعني أنها جائزة الترك بدليل أن الإسلام كان على أكمله من قبلها – يعني على أقل تقدير وإلا « فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته، وهي إذا واجبة الترك. وقولهم أن الدنيا للنصارى مخالف لقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة).

للشريعة فيكون الفريقان مضطرين إلى العمل بالإسلام الصحيح فقط بلا رهبانية ولا فصل. وقال الكاتب العمراني الاجتماعي الشهير محمد فريد وجدي في كتابه دائرة المعارف أن هذه الطرق كانت موجودة قبل الإسلام وكذلك في تقويم مسعود ان أهل هذه الطرق من الهند قبل الإسلام ومعروفة بالصين قبل ألوف من السنين ولبست في الإسلام شكلا آخر اهـ قلت وهي ملزمة بعدم الخروج عن الكتاب والسنة وأن تكون مضبوطة مقيدة بهما، ولكن هيهات هيهات !! وقال صاحب كتاب أقرب الموارد وهو عربي نصراني : إن الأولياء عند المسلمين كالقديسين عندنا.

الوالي والولاية

س : ما معنى الوالي والولاية ؟

ج : كانت الولاية في الصدر الأول من الإسلام على عهد السلف الصالح غير معروفة بغير معناها ومدلولها اللغوي والعرفي، ومعناها لغة الخطة والإمارة فهي من ولي يلي ولاية بالفتح المصدر وبالكسر الخطة وفي المصباح : الولي مثل فلس القرب وفي الفعل لغتان أكثرهما ولية يليه بكسرتين والثانية من باب وعد وهي قليلة الاستعمال وجلست مما يليه أي يقاربه، وقيل الولي حصول الثاني بعد الأول من غير فصل ووليت الأمر إليه بكسرتين ولاية بالكسر تولية ووليت البلد وعليه ووليت على الصبي والمرأة فالفاعل وال والجمع ولاة والصبي والمرأة مولى عليه، والأصل على مفعول. والولاية بالفتح والكسر النصرة اهـ.

وقال العلامة المرحوم الشيخ محمد عبده في تفسير الفاتحة. لم يأت في القرآن إلا بمعنى الناصر غالبا اهـ وهو صواب ومنه قوله تعالى :

﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[1]

هذا معناه لغة، وأما عرفا فهو الحاكم الذي توليه وتحكمه الحكومة وتؤمنه وتفوض له التصرف السياسي والإداري ويعبر عنه فقهاء مذهب مالك بولي الماء وإليه ترفع زوجة الغائب أمرها، فيصدق عليه أعني الوالي لفظ ما أضيف إليه كما تقدم أي ولي البلد مثلا وولي الصبي وولي المرأة وولي اليتيم وولي القاصر وولي السفيه وهكذا لغة وشرعا وعرفا. وورد أيضا في كتاب الله قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[2]

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]

وجاء في آية سورة يونس أن المؤمنين المتقين أولياء الله وهي قوله تعالى:

[1] سورة الأنفال الآية 40.
[2] سورة البقرة الآية 257.
[3] سورة آل عمران الآية 68.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[1]

وفي تفسير البحر المحيط لأبي حيان الجياني عند هذه الآية ما لفظه : أولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة. وقد فسر ذلك في قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولياء الله فقال : « هم الذين يذكرون الله برؤيتهم » يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس الإخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله قال ابن عطية وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي وإنما نبهنا هذا التنبيه حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي انتهى يعني قول ابن عطية ثم قال أعني أبا حيان وإنما قال حذرا من مذهب الصوفية لأن بعضهم نقل عنه أن الولي أفضل من النبي وهذا لا يكاد يخطر في قلب مسلم، ولابن العربي الطائي كلام في الولي وفي غيره نعوذ بالله منه انتهى ما ذكره المفسر ابو حيان عند هذه الآية.

[1] سورة يونس الآية 63.

وجميع من ذكر من الأولياء إنما يتصرفون في الحياة على حسب ما هو جائز في الشريعة ظاهرا لا باطنا مخفيا حسبما يدعي الغلاة من الباطنية والإسماعيلية الرافضة وأما تصرف الأموات منهم فمحال شرعا لا حجة تقوم به من الكتاب أو السنة أو الأثر خلاف ما يهذي به الناس اليوم، لأن التصرف تكليف، والموت يقطع التكليف، ولو كان الأمر كذلك أعني أن الأموات من الصالحين يتصرفون في الغيب لكان الأولى بالتصرف النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد في ذلك ما يثبته بل ورد ما ينفيه : قال الله آمرا له صلى الله عليه وسلم بنفيه :

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾[1]

إنما يتصرف الحي بشريعته صلى الله عليه وسلم ولم يثبت قط أن الصحابة رضوان الله عليهم رفعوا إليه صلى الله عليه وسلم أمرا أو ادعى أحدهم أنه عمل شيئا ما بعد وفاته وددنا لو كان يتصرف أو يظهر لأحد ويجيبه ويأمر وينهى ظاهرا أو باطنا فلذلك قال عمر رضي الله عنه في مسألة الجد ومسألة المشتركة في

[1] سورة الأنعام الآية 50.

الميراث : ليتني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وكذلك ثبت في صحيح البخاري أن عمراً[1] بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون وكانت فاطمة رضي الله عنها أعز بناته صلى الله عليه وسلم شاكية باكية في طلب ميراثها من أبيها في أرض فدك فلم يسمع لها الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لما ثبت عندهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركناه صدقة »[2] فما اشتكت لأبيها ولا قصدت قبره ولا ادعت رؤيته ولا تصرفه لا ظاهرا ولا باطنا. وفي كتاب الإبريز للدباغ عند كلامه على الديوان أن الأولياء الأموات لا يتصرفون. فأين هذا مما يدعي القوم في هذه القرون الأخيرة المظلمة أنهم يرون النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ويستشيرونه وأن أدنى حادث أو عارض حدث أو عرض للأمة تراهم فازعين إلى الأولياء الأموات يستغيثون بهم ويطلبون النجدة منهم والعجب كل العجب أن فريقا كبيرا من أهل العلم كالبيجوري والشيخ عليش يقولون بما

[1] كذا في الأصل فلا ندري أهو سبق قلم أم المؤلف على رأي الشيخ محمد محمود الشنقيطي في صرف عمر.

[2] رواه البخاري.

تقول به العامة وقال البيجوري في حاشيته على الجوهرة ان الله تعالى يوكل ملكا على قبر الولي يقضي حوائج الناس. ولا ندري من أين له ذلك إذا طولب بالبينة فإن البينة على من ادعى، ومن الأصول أن النافي لا يطالب بالبينة.

وكذلك نقول ما دليلهم على الديوان وعلى القطب وعلى الغوث.

وبالجملة إنّا لا نكلف بإيمان ما لم يرد به أمر أو نهي في الشريعة ولا يطالبنا الله ورسوله بما لم يبلغنا ولا يأمرنا الله بالزيادة كما في قوله صلى الله عليه وسلم « نهانا الله عن الربا وفعله ».

وقال العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله في هذا المعنى من رسالة التوحيد ما نصه « وإنما الذي يجب الالتفات إليه هو أن أهل السنة وغيرهم في اتفاق على أنه لا يجب الاعتقاد بوقوع كرامة معينة على يد ولي لله تعالى معين بعد ظهور الإسلام فيجوز لكل مسلم بإجماع الأمة أن ينكر صدور أي كرامة كانت من أي ولي كان ولا يكون بإنكار هذا مخالفا لشيء من أصول الدين ولا مائلا عن سنة صحيحة ولا منحرفا عن الصراط المستقيم. أين هذا الأصل المجمع عليه مما يهذي به جمهور المسلمين

في هذه الأيام حيث يظنون أن الكرامات وخوارق العادات، أصبحت من ضروب الصناعات، يتنافس فيها الأولياء، وتتفاخر بها همم الأصفياء، وهو مما يتبرأ الله منه ودينه وأولياؤه وأهل العلم أجمعون اهـ ».

قلت ان قضية الأولياء وتصرفهم وخوارقهم وكراماتهم مدسوس فيها ما يدس من السم في الدسم ذلك بأن من طبيعة البشر حب الاطلاع على الغيب وان الإيمان بالغيب من الفطرة البشرية مطلوب شرعا ومحمود فجاء الغلاة للناس من ذلك الباب وذلك أن الولاية محبوبة ومطلوبة فاستعملها الباطنية من الإسماعيلية والرافضة الدائنين بالحلول والباطن فتغالى غلاتهم في ذلك حتى قالوا إنّ الولاية أفضل من النبوة، وحتى قال شاعرهم وهو محي الدين بن العربي دفين الشام.

مقام النبوة في برزخ   فويق الرسول دون الولي

وتقدم قول ابن خلدون إنّ القطب من محدثات ابن العربي هذا وأصحابه الغلاة إذ كان سلفهم مخالطين للإسماعيلية فتوغلوا في ذلك الخبط فشربوا منه إلا قليلا منهم وجاءتهم تلك الدسائس من جهة غلوهم في آل النبي صلى الله عليه وسلم فتصرفوا في ذلك

تصرفا عجيبا وتمذهبوا مذهبا غريبا فصاروا سكارى وما هم بسكارى وأكبر سكير في ذلك هذا الشيخ الذي يلقبونه بالشيخ الأكبر لتوغله في الوهم والخيال الباطني حتى إنّه لم يبال بخرق قواعد الشرع في كثير من كتبه وبالأخص الفصوص الذي اضطر أصحابه إلى نكرانه وقد وقفت له على تفسير آية يأباه كلام الله تعالى ويأباه المسلمون العارفون وهاكه بالحرف : (إن الذين كفروا) ستروا محبتهم (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) استوى عندهم انذارك وعدم انذارك لما جعلنا عندهم (لا يؤمنون) بك ولا يأخذون عنك إنما يأخذون عنا (ختم الله على قلوبهم) فلا يعقلون إلا عنه (وعلى سمعهم) فلا يسمعون إلا عنه (وعلى أبصارهم غشاوة) فلا يبصرون إلا إليه ولا يلتفتون إليك وإلى ما عندك بما جعلناه عندهم وألقيناه إليهم (ولهم عذاب) من العذوبة عظيم) اهـ.

قلت إنه جعل الذين كفروا هم الأولياء لأنهم يحبون الله فكفروا أي ستروا محبتهم وأنهم لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يأخذون عنه إنما يأخذون عن الله وصرح بهذا وهو معنى شعره المتقدم ان الولاية أفضل من النبوة على أن جهة الولاية مقدمة على جهة الرسالة ولهذا تعوذ أبو حيان رحمه الله تعالى من جميع أحوال هذا المجنون سيدهم محي الدين بن العربي الشيخ

الأكبر وأنا أتعوذ كما تعوذ ابو حيان، وقد أفتى كثير من العلماء بكفر هذا السكران الشيعي المتغالي المخالف لما عليه سلف الأمة وخرق نصوص الشريعة الإسلامية ولكن أصحابه وأمثاله جعلوا له ذلك ولاية.

الكرامة وما معناها

س : ما هي الكرامة وما معناها ؟

ج : تقدم الكلام عنها أي عن حكمها في كلام الشيخ محمد عبده رحمه الله، ونحن نقول الكرامة مكرمة من الله لعبده ان كانت من مؤمن صالح تقي واستدراج ان كانت من غيره، وان الكرامة قد تكون من الخوارق يصعب حدها وتحديدها، وكانت بعض النفوس البشرية مختصة بأشياء من طبيعتها خصها الله تعالى بها من المعونات وإدراك المغيبات ونحو ذلك من حظوظ الدنيا والآخرة كما في أصناف المدركين للغيب والفراسة والكهانة والرؤيا وسائر الرياضيات وما وراء الماديات من عطاء الله الذي لا ينكر ولا يحتكر.

ثم إن مما يلزمنا طرح ذلك وهو في العقيدة كما تقدم كثرة المدعين لها زورا وبهتانا وافتراء على الله وافتتان الأمة بأسرها وبالأخص المتصوفة واعتقادهم الولاية والكرامة فيمن لا يستحقها شرعا والحال أنها — الولاية — في العقيدة ظنية ومنع المحققون ادعاءها من معين أو اسنادها لمعين، وقال العلامة الغزالي عند الكلام على قول الإنسان أنا مؤمن إن شاء الله ما لفظه :

وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتمها وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه، وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافواء اهـ.

ثم إن الكرامة تلتبس التباسا لا انفكاك له ولا انفصام بالحيل والخدائع والسحر والنصب والاحتيال ونحو ذلك من المقاصد لجلب المصالح واصناف هؤلاء الناس كثيرون في كل زمان ومكان، وقال العلامة ابن خلدون ليت جماعة منهم سألت وشهدت من أفعالهم هذه بذلك وأخبروني أن لهم وجهة رياضية خاصة بدعوات كفرية واشراك الروحانيات الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى الخزيرية يتدارسونها وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول أفعال لهم وأن التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان الحر من المتاع والحيوان والرقيق ويعبرون عن ذلك بقولهم إنما نفعل فيما تمشي فيه الدراهم، أي ما يملك ويباع ويشتري من سائر المتملكات هذا ما زعموه، وسألت بعضهم فاخبرني به وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها وعاينتها من غير ريبة في ذلك هذا شأن السحر والطلسمات وآثارها في العالم الخ وهذا بعد أن قال : ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء

مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور وأمثال تلك المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور عينا أو معنى ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعده لذلك تفاؤلا بالعقد واللزام واخذ العهد على من اشرك به من الجن في نفثه في فعله ذلك استشعارا للعزيمة بالعزم ولتلك البنية بالأسماء السيئة روح خبيثة تخرج منه من النفخ متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتنزل عنها أرواح خبيثة ويقع من ذلك بالمسحور ما يحاول له الساحر وشاهدنا أيضا من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كسا أو جلد ويتكلم عليه في سره فإذا هو مقطوع متخرق ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض وسمعنا بأرض الهند بهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتحتت قلبه ويقع ميتا وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ويشير إلى الرمانة فتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء اهـ.

قلت والعامة وبعض الخاصة يعدون هذه الأمور وأشباهها كلها كرامات صادرات من الأولياء ويخدمون من صدرت منهم طوعا وكرها فتعاطى ذلك طلاب المعاش وأصحاب النصب والاحتيال وأكثرهم زنادق فساق لا دين لهم وفي الحديث

الشريف «لعن الله من أكل الدنيا بطريق الآخرة» إذ يصعب على العامة التفرقة بين الكرامات والسحر والطلسمات والحال أن الإسلام لا يكلف أحدا من العقلاء أن يعتقد كرامة معينة من ولي معين كما تقدم. من ذا الذي يستطيع أن يقول جازما بكرامة وولي معينين والأمر كما ذكر ؟ إنما يستطيع أن يظن ذلك ظنا إذ الولاية ظنية وان يصدق في الإجمال بثبوت الكرامة لا غير، ولم يكلف الله العباد بتصديق غير الأنبياء في أمر الخوارق والكرامات لالتباسها ومن أجل ذلك أنكرها أبو إسحاق الاسفرايني من علماء أهل السنة الأشعريين ولم يكفره أحد، ثم انا إذا اعتبرنا الضررين : الضرر الذي ينشأ عن إنكار الكرامة والضرر الذي ينشا عن الاعتراف بالكرامة من أصحاب السحر والشعبذات كما قدمنا فضرر الاعتقاد بالكرامة أشد، وبسبب ذلك صارت العامة تخدم جميع أصناف أصحاب الخوارق والمشتبه فيهم أنهم أولياء تظهر الخوارق على أيديهم وتجاب دعواتهم وأن المصائب التي تنزل بمخالفيهم إنما كانت ببرهانهم ودعواتهم بالشر فتحمل العامة أثقالا كثيرة من اجل ذلك وكادوا يكفرون بالله بسبب ما هنالك إذ اسناد الحوادث من المصائب ونحو ذلك من الخير والشر إلى غير الله كفر صراح والعياذ بالله فصار الخوف من الأولياء أكثر من الخوف من الله وهذا فسوق كبير وكذلك من الكفريات

الحلف بهم وبمقاماتهم وهو كفر إن قصدوا التعظيم وبالطبع إنه لولا التعظيم ما حلفوا بهم. وبالجملة إن افتتان الناس بالكرامات والأولياء تجاوز الحد وبلغ سيله الزبي واشتهر عندنا بقطر الجزائر المنور أن الشيخ السيد فلان أوقف السكة الحديدية عن المشي مشيرا إليها بأن تقف فوقفت وان الشيخ فلان كان يصلي وصدر الأمر إلى سائق السكة الحديدية بالمسير فلم يعمل الميكانيك ولم تمش السكة الحديدية كرامة للشيخ وهلم جرا من المجازفات الناشئة عن سخافات عقول قومنا. ويا ترى إذا قال لهم قائل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بأن يجعل أحدكم أو شيخكم ذلك نفسه على قضبان السكة الحديدية هل يعطلها وإلا فأنتم كاذبون والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾[1]

وبعبارة أخرى إذا كان شيوخكم بهذه الدرجة من الخوارق والكرامات بأن يعطلوا الميكانيك فإن المدافع والبندقيات الموزيرية والطيارات والغواصات والمراكب البحرية كلها ميكانيك في

[1] سورة هود الآية 18.

ميكانيك فكفوا عن الأمم المستضعفة شر المدافع والطيارات والدبابات والمصفحات من السيارات ونحو ذلك من الولايات.

وبالجملة فإن كان هؤلاء مسلمين فالإسلام ينهاهم عن ذلك كله ولا يعتبره وأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يعتبر الظاهر والقوة الظاهرة في حروبه وفي جميع معاملاته مع عدوه وأمره الله تعالى وأمر أصحابه بالاستعداد والقوة فقال تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾[1]

فلو اعتبر قومنا سيرة نبيهم لكان خيرا لهم وأقوم إذ يجدونه عاملا بيده مع أصحابه وقد كسر الحجر يوم حفر الخندق وأصيب بحجر حتى تكسرت رباعيته وخضب وجهه الشريف بالدم بشجة يوم أحد، وفي تلك الواقعة الشديدة قتل النبي صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف بحربة لكونه — أعني أبي — قصد النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله ولم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم غير أبي هذا، وجاء الخبر أن « شر الخلق من قتل نبيا أو من قتله نبي »[2]

[1] سورة الأنفال الآية 60.
[2] رواه أحمد واللفظ: « أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيا ».

والعياذ بالله، ورواد التصوف لم يريدوا غير هذه الخوارق وفي كتاب المعيار الجزء الأول ما لفظه : وسئل القاضي ابو عمرو بن منظور عن إمام قرية يؤم الناس وهو يحب طريقة الفقراء – التصوف – وفي القرية زاوية يجتمع فيها بعض من أصحاب القرية ليلة الجمعة وليلة الاثنين والإمام المذكور فيهم يستفتحون بعشر من القرآن ويبدؤون بالذكر الموصوف لهم فإذا فرغوا يستفتح المداح وأصحابه دائرون عليه يضربون الكف معهم ويرقص مع الذي يرقص منهم فإذا كان ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي الإمام معهم إلى قرية أخرى بنحو عشرين ميلا من قريتهم ويبقى المسجد بلا خطبة ولا إمام ولا أذان حتى يرجعوا وتكون غيبتهم أربعة أيام أو ثلاثة أيام فقيل ان الإمام الذي يعمل هذا لا تجوز إمامته والذي يسمع العريف خير من الفقراء والإمام المذكور يعلم أن طريقة الفقراء بدعة لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في عهد التابعين بعده ويعلم أن أفضل الذكر ما خفي، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، لكن حمله على هذا محبته في الذكر وفي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته في مجامعة الإخوان هل يلزم مراعاة هذه الطريقة بشيء أو لا ؟

فأجاب تأملت السؤال بمحلوله وقد سئل عن مثله العلماء الفقهاء الذين يقتدى بهم ويعمل على قولهم والكل منعوا تلك الطريقة

وقالوا بتبديع مرتكبها والسنة بخلاف ذلك والرقص لا يجوز وهو تلاعب بالدين وليس من أفعال عباد الله المهتدين وإمامة من يرى هذا المذهب ويسلك طريقتهم لا تجوز سيما وقد انضاف إليه مع علمه هذا تعطيل المسجد وتركه دون مؤذن ولا إمام.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾[1]

وهذا يدخل تحت الوعيد، وقول من قال إن من يسمع العريف خير من الفقراء يظهر أنه صحيح ووجهه أن الذي يسمع العريف عاص ويعلم أنه على غير شيء وهذا الذي يشطح ويرقص يعتقد أنه على شيء وهو على غير شيء ومتلاعب وما خلقنا للعب، وهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ويكون للإمام حظه من هذه الطريقة حضوره كاف في منع إمامته لأنه مكثر سوادهم ومن أكثر سواد قوم فهو منهم، وأما محبة الرسول والصحابة فيتوصل إليها بغير هذه وهي ساكنة في القلب والإكثار من الصلاة والسلام عليه والرضى عن أصحابه في نفسه وفي بيته هو وجه العبادة والطاعن في هذا الإمام قام على وجه

[1] سورة البقرة الآية 114.

الحسبة وتغيير المنكر فلا عتاب عليه إن شاء الله تعالى. فهذا وجه الجواب. وأجاب الشيخ أبو الحسن العامري الاجتماع على الذكر إذا كان يذكر كل واحد وحده وأما على صوت واحد فكرهه مالك وأما القيام والشطح فمن ظن أنه عبادة فقد خالف الإجماع ومخالفة الإجماع كفر يستتاب صاحبه فإن تاب فذاك وإلا قتل وكيف يعتقد أن يعبد الله بالشطح وهو لهو ولعب، وأجاب السيد عبد الله السرقسطي عن نظيرتها بما نصه جواب السؤال بمحوله أن طريقة الفقراء – التصوف – في الذكر الجهري على صوت واحد والرقص والغناء بدعة محدثة لم تكن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فمن أراد اتباع السنة واجتناب البدعة في ذكر الله والصلاة والسلام على رسوله فليفعل ذلك منفردا بنفسه غير قارن ذكره بذكر غيره وليخف ذكره فهو أفضل له وخير الذكر الخفي وعمل السر يفضل عمل العلانية في النوافل بسبعين ضعفا اهـ.

قلت وخلاصة ما في الباب من الجواب أن السلف الصالح قد حصلت لهم خوارق وكرامات لا تنكر ولكنهم لم يفتتنوا بها، ولم تكن لهم الشغل الشاغل، ولا تجاسر أحد منهم على ادعائهم أو عاش هو وخلفه بها أو افتخروا بها بل كانوا يخشونها أن تكون

فتنة وبلاء، وأما بأن يحتالوا لها أو يدعوها زورا، أو يرضو بأن تعزى إليهم فبعيد بعد السماء عن الماء.

وهل ادعى أحد منهم أن شيخه مدت له يد النبي صلى الله عليه وسلم من القبر بشهادة الناس أو ادعى أن شيخه مد ذراعيه من فوق السموات كلها ومن تحت بطن الحوت مد راحته، أو يعلم علم الله ويحصي حروفه أو يعلم موج البحر كم هي ؟ أو يعلم نبت الأرض كم هي ؟ أو ما في الجبة إلا الله إلى غير ذلك من الخزعبلات المحدثات ثم إن هؤلاء الغلاة العتاة الملاحدة المجانين صاروا أولياء الله عند الخلق يتصرفون في الكون ويفعلون ما يشاءون وأنهم يستطيعون أن يوقعوا بكل أحد شرا ويمسكوا السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنهم.

وذكرتني هذه المجازفة بمثلها وقفت عليها في كتاب حديث عيسى ابن هشام على ذلك الأسلوب الانتقادي المعروف عند أهل العصر فقال – بعد أن ذكر الجماعة فيهم شيخ عالم – ان الباشا الذي معه قام من القبر – فتنحنح الشيخ العالم وأشار فيهم بإشارة الاستماع ثم اندفع يقول : اعلموا أنه ليس للمعجزات حد ولا للخوارق حصر ولا تنكروا على الرجل حياته بعد موته فليس من حسن اليقين أن تنكر بعث الدفين والرجوع إلى الدنيا

بعد الفناء أمر معلوم بلا امتراء تخص القدرة به من تشاء ببركة الأصفياء والأولياء وأقرب ما استشهد لكم به على ذلك من كتاب « مناقب تاج الأولياء وبرهان الأصفياء القطب الرباني والغوث الصمداني السيد عبد القادر الكيلاني » ما أرويه لكم بحرفه ونصه : ذكر في رسالة حقيقة الحقائق أن امرأة غرق ولدها في اليم وجاءت إلى الغوث الأعظم وقالت إن ولدي غرق في البحر واعتقادي جازم بأنك تقدر على رد ولدي إلي حيا فقال لها رضي الله عنه ارجعي إلى بيتك تجدي ولدك في بيتك فراحت ولم تجده فجاءت ثانية وتضرعت فقال لها الغوث أيضا ارجعي إلى بيتك تجدي ولدك في بيتك فراحت ولم تجده فجاءت ثالثة بالبكاء والتضرع فراقب الغوث وانحنى برأسه ثم رفع رأسه وقال لها ارجعي إلى بيتك تجدي ولدك في البيت فقال الغوث الأعظم بطريق المحبوبية يا رب لم أخجلتني مرتين عند تلك المرأة فجاء الخطاب من الملك الوهاب أن كلامك حين قلت لها كان صدقا ففي المرة الأولى جمعت الملائكة أجزاءه المتفرقة، وفي المرة الثانية أحييته وفي الثالثة أخرجته من اليمّ وأوصلته إلى دارها فقال الغوث يا رب خلقت الأكوان بأمر كن ولم يسبق زمان ولا آن في وقت البعث تجمع أجزاءها المتفرقة التي لا نهاية لها وتحشرهم في طرفة عين وجمع أجزاء جسد واحد وإحياؤه وبعثه إلى داره شيء جزئي

فما الحكمة في هذا التأخير فجاء الخطاب من الرب القدير اطلب ما تطلب فقد أعطيناك عوضا من انكسار قلبك فتضرع الغوث ووضع وجهه على التراب وقال يا رب أنا مخلوق فبقدر مخلوقيتي يليق بي الطلب وأنت خالق فبقدر عظمتك وخالقيتك يليق بك العطاء فجاء الخطاب كل من يراك يوم الجمعة يكون وليا مقربا وإذا نظرت إلى التراب يكون ذهبا فقال يا رب ليس لي نفع من هذين اعطني شيئا أعظم منهما ويبقى بعدي لينفع في الدارين فجاء الخطاب من الله العزيز القدير جعلت أسماؤك مثل أسمائي في الثواب والتأثير ومن قرأ اسما من أسمائك فهو كمن قرأ اسما من أسمائي.

وروي فيه – الكتاب حقيقة الحقائق – أيضا عن السيد الشيخ الكبير أبي العباس أحمد الرفاعي رضي الله عنه قال : توفي أحد خدام الغوث الأعظم وجاءت زوجته إلى الغوث فتضرعت والتجأت وطلبت حياة زوجها فتوجه الغوث إلى المراقبة فرأى في عالم الباطن ان ملك الموت عليه السلام يصعد إلى السماء ومعه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم فقال يا ملك الموت قف واعطني روح خادمي فلان (وسماه باسمه) فقال ملك الموت إني أقبض الأرواح بأمر إلهي وأؤديها إلى باب عظمته كيف يمكنني أن أعطيك روح الذي قبضته بأمر ربي ؟ فكرر الغوث عليه اعطاء

روح خادمه إليه فامتنع من إعطائه وفي يده ظرف معنوي كهيئة الزنبيل فيه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم فبقوة المحبوبية جر الزنبيل وأخذه من يده فتفرقت الأرواح ورجعت إلى أبدانها فناجى ملك الموت عليه السلام ربه وقال يا رب أنت أعلم بما جرى بيني وبين محبوبك ووليك عبد القادر فبقوة السلطنة والصولة أخذ مني ما قبضته من الأرواح في هذا اليوم فخاطبه الحق جل جلاله يا ملك الموت إن الغوث الأعظم محبوبي لِمَ لَمْ تعطه روح خادمه وقد راحت الأرواح الكثيرة من قبضتك بسبب روح واحد فتندم هذا الوقت » اهـ.

س : ما تقول في الحلف بأسماء الأولياء ومقاماتهم واسناد ما يقع من المكروهات بعد ذلك إلى أن ذلك الوالي هو الذي فعل بالحالف ذلك المكروه ؟

ج : كلا الأمرين كفر لا يجوز الإيمان بغير الله وصفاته وقال عليه الصلاة والسلام « من كان يحلف فليحلف بالله »[1] وفي المختصر الذي به الفتوى في مذهب مالك ما لفظه : وان قصد بكالعزى التعظيم فكفر وبالطمع انهم لا يقصدون غير التعظيم والتأثير وإلاّ فعلام ؟

[1] رواه أحمد ومسلم.

س : ما حكم زيارة أضرحة الأولياء والتوسل بهم والطلب منهم وهل صحيح أنهم يقضون الحوائج للناس الزوار ؟

ج : زيارة القبور جائزة ولكن للاعتبار والدعاء لهم ذلك بأن الميت كالغريق وأما لكونه وليا والولاية ظنية فجائزة هذا الأمر أيضا ومع أنه لا نعلم كيف ختم له، وكيف مات، إذ قالوا كم من قبر يزار، وصاحبه في النار، وعلى كل حال فالتماس النفع أو الوسيلة من الميت لم يثبت قط عن سلفنا الصالح ولا وجد في الشرع ما يؤيد ذلك وتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطلب منه آله ولا أصحابه شيئا بعد وفاته وان نداء من في القبور والطلب منهم والتوسل بهم فهو فعل الشيعة الباطنية من الجعفرية والإمامية من الروافض والمشركين ولم يثبت شيء من ذلك في خير القرون ولا نص عند الأئمة الأربعة المجمع على تقليدهم يفيد جواز السؤال من صاحب قبر ذي قبة ومسجد أو مجرد من ذلك.

وقال بعض السلفيين ان زيارة القبور لأجل الصلاة عندها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود واخذ ترابها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفان وغير ذلك من الحاجات التي كان عباد الأوثان يسألونها من أوثانهم فليس شيء من ذلك مشروعا باتفاق أئمة المسلمين اهـ.

هبة الشموع ونذرها لأصحاب الأضرحة

س : ما تقولون في هذه الشموع التي ينذرونها ويهدونها لأصحاب الأضرحة وتوقد في قبابهم ومراقدهم أو يأخذها الوكيل ؟

ج : أصل ذلك على ما وقفنا عليه أنه من أعمال الذين يعبدون النار من الفرس والهنود فسرت منهم إلى الكنائس النصرانية ومن الكنائس النصرانية إلى الأضرحة والقبب المبنية على صلحاء المسلمين. ولا يبعد أن يكون أصلها عند المسلمين لتنوير المساجد وللمطالعة والقراءة من طلبة العلم وهذا حسن وصالح ولكنه تحول إلى ما ليس بمفيد أما ما يوقد على قبر سبهللا أو يأخذه الوكيل الموكل بالقبر فهذا بدعة وضلال فالنذر باطل والكسب بذلك أكل أموال الناس بالباطل من الكبائر والعياذ بالله.

الإخبار بالغيب

س : هل الإخبار بالغيب والقول به من الولاية والكرامة ؟

ج : الإخبار بالغيب والكشف مما افتتنت به الأمة كما تقدم إلا أنه لا يدل على الولاية ولا هو قاعدة وضابط لها كما هو المعروف عندنا بهذا القطر السيئ الحظ. وإن أصناف المدركين للغيب[1] كثيرون منهم الكهان الطبيعي والرهبان الرياضي والمجذوب والمجنون والرؤيا من الصالح ومن غير الصالح، وذلك أن النفس البشرية متصفة بهذه الصفات وإنما هي محجوبة بالشواغل البدنية فإذا ارتاضت وتهذبت النفس وصفت وقوي الروح رجعت النفس إلى أصلها النوراني فتدرك ما تتشوف وتتشوق إليه من عالم الغيب والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[2]

---

[1] الغيب قسمان حقيقي لا يعلمه إلا الله ومن أظهره على شيء منه من رسله وغيب إضافي يعلمه بعض الناس بأسباب علمية، كالخسوف والكسوف أو رياضية روحية وكلاهما مفصل في تفسير سورة الأنعام من تفسير المنار.

[2] سورة الجن الآية 26.

وقال جل شأنه :

﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[1]

وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط عند هذه الآية ما نصه: ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى التصوف أشياء من ادعاء علم الغيب والاطلاع على عواقب اتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولاتباعهم بما يخبرون بذلك على رؤوس المنار ولا ينكر ذلك أحد اهـ.

وروت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها – كما في صحيح مسلم – من زعم أن محمدا يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول :

﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[2]

وأما كون الغيب ولاية وكرامة فقد علمت أن الولاية ظنية وأنها تصدق على كل مؤمن تقي فالشريعة الإسلامية لا تكلف أحدا أن يعتقد أن زيدا وليّ وان ما ظهر على يده من عناية الله به

[1] سورة النمل الآية 65.
[2] سورة النمل الآية 65.

أو من طبعه إذا كان كهانا أو من بعض أصناف المدركين للغيب – كرامة.

وأنه إن يكن ولي لله تعالى فلا يكون بهذه الصفة المعروفة عندنا الآن من أنه يتصرف مع الله ظاهرا وباطنا حيا وميتا وهذا إشراك محض غير معروف في عهد السلف الصالح وأن من أخذعنهم أورآهم أو رأى من رآهم إلى سبعة فهو محروم من النار إلى غير ذلك من المجازفات الفاسدة التي لا أصل لها في الإسلام فلا يستطيع أحد أن يعطي الجنة ويحرم النار أو العكس إلا الله جل شأنه ويقال إن هذا كان في النصرانية فإن صح في النصرانية فلا يبعد أن يكون قد سرى إلينا منها كما سرى إيقاد الشموع في الكنائس ؟

الاستغاثة ومعناها

س : ما معنى الاستغاثة التي ينادي بها أهل هذا الوطن من قولهم يا سيد فلان – يريدون الصالح لميت – يا مولى البلد ؟

ج : إن لذلك أصلا جاهليا وهو أن العرب قبل الإسلام كانوا إذا نزلوا بواد نادوا يا أهل هذا الوادي نتحفظ بكم، يخاطبون بذلك الجان وذلك معنى قوله تعالى :

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[1]

وفي تفسير عبد الرحمن الثعالبي عند هذه الآية ما نصه : والمعنى في الآية ما كانت العرب تفعله في أسفارها من ان الرّجل إذا أراد المبيت بواد صاح بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك، ويعتقد بذلك أن الجني يحميه، وعنه قال قتادة فكانت الجن تحتقر بني آدم وتزدريهم لما ترى من جهلهم فكانوا يزيدونهم مخافة ويتعرضون للتخيل لهم ويغوونهم في

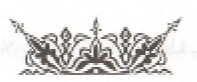
[1] سورة الجن الآية 6.

إرادتهم، فهذا هو الرهق الذي زادته الجن بني آدم وقال مجاهد وغيره بنو آدم هم الذين زادوا الجن رهقا وهي الجراءة والطغيان اهـ.

قلت المراد من ذا وذاك ان الإنسان لجهله وضعفه الأدبي وإحساسه بوجود قادر غيره فسمع بالجن والأرواح فصار يرجوه ويخافه وكذلك في هذا العصر أحسوا وسمعوا أن الأولياء يتصرفون ويقضون وينفعون ويضرون وأن لكل بلدة وليا مدفونا فيها أو بقرب منها فصاروا ينادونهم يا مولى البلد في عنايتك وحمايتك. فأهل الجاهلية الأولى خير من أهل هذه الجاهلية لأن دليل أولئك أقوى إذ الجن معروف وموجود محقق وإنما غلطوا في تعوذهم به لا بالله، وأما أهل جاهليتنا نحن فلا دليل قائم لهم ولا ثبوت إلا الخيال والغرور فهم أكفر من أهل الجاهلية الأولى كيف لا وقد جاء النبي بالتوحيد وكتابه بين أيديهم وأنه لا يجوز التعوذ بغير الله وهو الواحد القهار، ومن أظلم وأجهل وأسفه ممن يعدل عن رب قادر حي عالم يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء إلى عبد مثله قد مات وغرق ولا يعلم أحد كيف مات ؟ ولكنهم لضعف عقولهم ظنوا أن الله تعالى بعيد، والولي والقبر والقبة قريبة منهم فيهرعون إليهم وفي كتاب بين يدي هذه الآية :

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾[1]

[1] سورة العنكبوت الآية 41 – 42.



وقوع المنكرات المبتدعة في الدين

س : كيف وقعت هذه المغالطات والمنكرات المبتدعة في الدين الإسلامي وصاحبه صلى الله عليه وسلم يقول « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي »[1] أو كما قال.

ج : وقعت بسبب الجهل أولا ثم بما دسه أعداء الإسلام من الدسائس وقد جاءوا من جهة آل الرسول صلى الله عليه وسلم فتلك الجهة وذاك الجاه العظيم كما علمت مقبولان فحدث التشيع والتنطع في الدين، وفي الحديث « هلك المتنطعون » قاله ثلاثا صلى الله عليه وسلم وقد طبخ هذه الطبخة المشؤومة الشبيهة بالدسومة المسمومة عبد الله بن سبأ ابتدأها في مصر يدعو بزعمه لآل النبي وينتصر لهم ومن يتخلف عن الانتصار للنبي صلى الله عليه وسلم وآله ؟ وعلى أن الإمامة الكبرى لهم، وقال ابن

[1] رواه مسلم.

خلدون في فصل الكلام على الإمامة عند الشيعة ما نص المقصود منه :

ومنهم طوائف يسمون بالغلاة وتجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه – إلى أن قال – ومنهم من يقول إن كمال الإمام لا يكون لغيره فإذا مات انتقلت روحه إلى إمام آخر ليكون فيه ذلك الكمال[1] وهو قول بالتناسخ ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد من الأئمة لا يتجاوزه إلى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهؤلاء هم الواقفية فبعضهم يقول هو حي لم يمت إلا أنه غائب عن أعين الناس[2] ويستشهدون لذلك بقصة الخضر قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وإنه في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وقالوا مثله في محمد بن الحنفية وإنه في جبل رضوى لم يمت عنده عسل وماء وهو معنى البيت المتقدم.

[1] وكذلك قالوا في القطب كما في قول ابن العربي المعبر عنه بالشيخ الأكبر :

ولكل عصر واحد يسمو به　　وأنا لهذا العصر ذاك الواحد

[2] كما سلم الشيخ السيد الحسين ما قاله محي الدين هذا والشعراني وتقدم.

فغيب لا يرى فيهم زمانا　　برضوى عنده عسل وماء

اهـ

فتأمل أيها السائل كيف وقعت هذه المنكرات التي أدهشتك وكيف سرت وتسربت إلى الأنام وامتزجت بالأجسام وهي أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ؟ واحذرهم أن يفتنوك عن الإسلام الصحيح وأصوله المعتبرة، وإياك أن تلتزم ما لا يلزم، أو تسأل عن أشياء ان تبدلك تسؤك، واعتبر قول أنس بن مالك المتقدم نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك معنى قوله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1]

[1] سورة المائدة الآية 101.

وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط لهذه الآية :

روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أنس قال رجل يا رسول الله من أبي ؟ قال « أبوك فلان » ونزلت الآية وفي حديث أنس أيضا أن رجلا قال أين مدخلي يا رسول الله ؟ قال « النار » وان السائل من أبي هو عبد الله بن حذافة ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما قال :

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[1]

صار كأنه قيل ما بلغه الرسول فخذوه وكونوا منقادين له وما لم يبلغه فلا تسألوا عنه، ولا تخوضوا فيه فربما جاءكم بسبب الخوض الفاسد تكاليف تشق عليكم قاله أبو عبد الله الرازي اهـ.

واعتبر أيضا مع هذا قول الأعرابي المتقدم إذ قال والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص يعني على قواعد الإسلام وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لئن صدق ليدخلن الجنة.

قلت وهذه المصيبة التزام ما لا يلزم في الإسلام من التطرف وعدم الاعتدال في الأقوال والأفعال أخرجته عن أصوله، وكذلك تكلف الفقهاء وتنطعهم وتعصبهم لمذاهبهم والانتصار لمقاصدهم

[1] سورة المائدة الآية 99.

ومثلهم المتكلمون وتفريط العامة والخاصة. فذهب الإسلام بين ذلك فغيره أصحاب ذينك الطرفين الإفراط والتفريط فأدى ذلك إلى التمزيق والعياذ بالله وبالأخص هذه الطائفة الإسماعيلية الباطنية التي تمجست بسبب عقيدة الحلول وتطرق هذا الداء الدفين إلى المتصوفة فوجدت أرضا خصبة.

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى :

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[1]

ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تستر بالإسلام في الظاهر وانتمى إلى الصوفية حلول الله تعالى في الصور الجميلة ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج والشوذي وابن أحلى وابن العربي المقيم كان بدمشق وابن الفارض واتباع هؤلاء كابن سبعين والتستري تلميذه وابن مطرف المقيم بمرسية والصفار المقتول بغرناطة وابن اللّبّاج وأبو الحسن المقيم كان بلورقة وممن رأيناه بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني وله في ذلك اشعار كثيرة وابن عياش المالقي الأسود الأقطع المقيم كان بدمشق وعبد الواحد ابن المؤخر المقيم كان

[1] سورة المائدة الآية 17.

بصعيد مصر والابكي العجمي الذي تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من ديار مصر وأبو يعقوب من مبشر تلميذ التستري المقيم كان بحارة زويلة وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحا لدين الله يعلم الله ذلك وشفقة على ضعفاء المسلمين وليحذروا انتهى كلام أبي حيان بالحرف.

قلت لقد اشتدت حملة أبي حيان ووطاته على الغلاة من المتصوفة وكذلك ابن خلدون ووافقا ابن تيمية ولأن أبا حيان معاصر للشيخ ابن تيمية السني السلفي الشهير الذي لا تأخذه في الله لومة لائم وقد انتقد هؤلاء الفضلاء الغلاة من المتصوفة المتطرفين الذين أحدثوا القطبية عن غير دليل سوى الخيال ودسائس الشيعة الباطنية من الإسماعيلية والرافضة الذين سمموا الأمة الإسلامية وحشوا الأدمغة بالخرافات والأوهام بدعوى حب آل النبي حتى اشتهر فريقان فالغلاة المتقدمون يتمثلون بقول الشافعي :

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

والإصلاحيون ينشدون قول ابن تيمية :

إن كان نصبا حب صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

ولكن الطائفة الناجية ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبالإجمال إنّ السادة الصوفية أصابهم الداء الباطني وحب الخوارق حتى جعلوا الخوارق من المناكر والفواحش من الكرامات كما تقدم شيء من ذلك لأكبر صوفيه العصر الفقيه عليش في فتاويه في باب الجنايات منها والحق يقال أنه من باب الجنايات على الإسلام الصحيح.

هذا ولا يتعجبن العارف المنصف والغيور المسعف من هذه الضلالات كلها وإنما التعجب كيف طرأت على الإسلام وكيف راجت وكيف قبلها المسلمون وكتابهم مضبوط ومتقن وأعجب من ذلك كله التمادي عليها.

بل تمادت على التجاهل آبا ء تقفت آثارها الأبناء

أما سبب طروئها فالغلو في التشيع الذي نشأ عنه الحلول والوحدة والباطن لم تفرقت هذه الطائفة وتفرعت إلى عشرين طائفة كما تقدم ذكر بعضها وقد فصلها صاحب كتاب الملل والنحل وصاحب كتاب الاعتصام وهي من جملة الفرق الإسلامية الضالة مصداق الحديث. « ان بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار

إلا ملة واحدة – قالوا ومن هي يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي »[1].

ثم إن معتقدات ومخترعات هؤلاء من الأقوال والأفعال قد اختلطت وتشابهت وتداخلت وتوافقت وتباينت وألعنها الباطنية وهي الإسماعيلية الرافضة الدائنون بالحلول وألوهية الأئمة فإن الدولة الفاطمية القائمة بإفريقية زاحفة بجحافلها على مصر وامتلكتها من لدن القرن الرابع إلى القرن السادس سممت الأمة الإسلامية. قال ابن خلكان ما نصه : وكان ابتداء الدولة العبيدية – وتسمى الفاطمية والعبيدية وهي باطنية وإسماعيلية وشيعية ورافضية – بإفريقية والمغرب في ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين وأول من ظهر منهم المهدي أبو محمد عبيد الله إلى أن قال وانقرضت دولتهم فكانت مدة دولتهم مائتي سنة وستا وسبعين سنة اهـ.

قلت فإن محدثات هذه الدولة المخزية وكفرياتها ودياناتها وخلفائها كالحاكم بأمر الله ذلك المجنون الملعون وأمثاله الذين ادعوا علم الغيب والباطن – كل ذلك عار وشنار في الإسلام ولا يحتاج أن اذكر مثالبهم إذ تكفل بها كتب التاريخ والسير ويكفي

[1] رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

أن يراجع ما يختص بالحاكم بأمر الله في الجزء الثالث من تاريخ ابن خلكان ليرى ذلك الجنون وكفى أنهم زادوا في الأذان ويكتب الحاكم هذا اسمه هكذا باسم الحاكم الرحمن الرحيم، وادعى علم الغيب، ثم إن بعض الحذاق من طلبة العلم كتب بيتين في رقعة ورفعت إليه وهما :

بالجور والظلم قد رضينا ... وليس بالكفر والحماقة
ان كنت أوتيت علم غيب ... بين لنا كاتب البطاقة

وكذلك دولة الموحدين بالمغرب من القرن الخامس إلى أن انقرضت في القرن العاشر فإنهم دانوا بعصمة الأئمة أقل من الفاطمية بألوهية الأئمة وبعض الشر أهون من بعض وقال الشاطبي في كتابه الاعتصام إن ابن الصقر اعترض على أحد خطباء هذه النحلة المخزية في خطبة الجمعة التي قال فيها بعصمة الإمام فرفع أمره إلى السلطان فأراد أن يعفو عنه ولكن شيوخ دولتهم أبوا إلا قتله فقتل خشية أن يفسد عليهم دولتهم ودينهم فذهب رحمه الله شهيد الحق شهيد تغيير المنكر.

قلت وهكذا اليوم من ينكر القطب والغوث والابدال والكشف والباطن فإنه يخشى على نفسه لو كانت لهم دولة. وفي كتاب الاعتصام ما نصه : مذهب المهدي المغربي فإنه عد نفسه

الإمام المنتظر وانه معصوم حتى إنّ من شك في عصمته أو في أنه المهدي المنتظر فهو كافر وقد زعم ذووه أنه ألف في الإمامة كتابا ذكر فيه أن الله استخلف آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم وان مدة الخلافة ثلاثون سنة وبعد ذلك فرق وأهواء وشح مطاع واعجاب كل ذي رأي برأيه فلم يزل الأمر على ذلك والباطل ظاهر والحق كامن والعلم مرفوع كما أخبر عليه الصلاة والسلام، والجهل ظاهر، ولم يبق من الدين إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، حتى جاء الله بالإمام فأعاد الله به الدين كما قال عليه الصلاة والسلام « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء »[1] وقال ان طائفته هم الغرباء زعما من غير برهان زائد على الدعوى وقال في ذلك الكتاب : جاء الله بالمهدي وطاعته صافية نافية لم ير مثلها قبل ولا بعد، وان به قامت السموات والأرض – تأمل هذه الافتراءات والافتيانات على الله – به تقوم ولا ضد له ولا مثل ولا ند، وكذب – تعالى الله عن قوله – إلى أن قال أعني صاحب الاعتصام وأحدث في دين الله أحداثا كثيرة زيادة على الاقرار بأنه المهدي المعلوم والتخصيص بالعصمة ثم وضع ذلك في الخطب وضرب في السكة بل كانت تلك الكلمة عندهم ثالثة للشهادة فمن لم يؤمن بها أو شك فيها

[1] رواه مسلم.

فهو كافر كسائر الكفار، وشرع القتل في مواضع لم يضعه الشرع فيها وهي نحو ثمانية عشر موضعا حتى إني أدركت بنفسي في جامع غرناطة الأعظم الرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم اهـ فتأمل هذه الغرائب.

قلت ان المهدي هذا هو محمد بن تومرت وقد جاء كتابه الذي سماه (أعز ما يطلب) بيدي وهو مطبوع بالجزائر وجلبه الموسيو لوسياني من خزانة الحكومة بباريز وأنا الذي نسخته ليقدم للمطبعة في سنة 1901 م وقد أدهشني أمره إذ وجدت مكتوبا في أوله بذلك الخط الأندلسي « الإمام المعصوم المهدي المعلوم » وكان الأستاذ المرحوم الشيخ محمد سعيد حاضرا فأخذه وتعجب أيضا وأنكرنا تلك الجملة الفاسدة وقلنا وهب أنه المهدي أتجوز له العصمة وتصح في حقه ؟ كلا لا عصمة إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام للإجماع فقط ولا فظاهر القرآن :

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (121) ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (122)﴾[1]

[1] سورة طه الآية 121 – 122.

فكيف تكون العصمة لغيرهم وأي دليل نقلي أو عقلي عليها ؟ وأما المناكر التي بنى عليها دولته من سفك الدماء وحيل الشياطين فمما لا يسع هذا الكتاب إيراده ومن شاء ذلك فعليه بترجمته في الكتاب المذكور، والمراد أن مثل هذا ومثل عبيد الله الشيعي وعبد الله بن سبأ وعبيد الله بن ميمون مؤسس الباطنية في المشرق لا ينبغي أن تذكر أسماؤهم إلا باللعن والطرد وان ينبذ جميع معتقدات تلك الدولة المؤسسة على شفا جرف هار فانهار بهم في نار جهنم :

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾[1]

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوب المسلمين إلا أن تقطع قلوبهم في نار جهنم،

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾[2]

لهذا لم تدم تلك الدول التي تركت السم في الدسم والله ولي الانتقام.

[1] سورة التوبة الآية 109.
[2] سورة التوبة الآية 110.

فإذا تأملت أيها الواقف في استمرار الدولتين المخزيين العبيدية والموحدية قرونا كثيرة كما تقدم زال عنك التعجب وظهر لك سبب الضلال وسبب شغف الناس بالأولياء الأموات والأقطاب والأغواث والابدال والمجاذيب وسائر المتصرفين في الغيب على اعتقادهم الغيب والباطن وأن جميع ما يقع في الكون بتصرفهم وقضائهم، وسمعت هذه الأيام بنات أهالي هذه المدينة يلعبن ويقلن « يا ديوان الصالحين » وبنتي معهن ووالله ما سمعت هذه العبارة في الجزائر قط وأنا في العقد السادس من العمر، وإنما أخذن هذه الجملة من المعتقدين بوجود ديوان كما في كتاب الابريز ولا شك أنهم يقصدون بمناداتهم هذه التي أخذتها عنهم بناتهم ديوان الصالحين الأموات وأما الأحياء فلا علم لا لهم ولا لنا بوجوده ولا شك أنهم – آباء البنات – أخذوا ذلك عن والديهم ومشايخهم وأولئك كذلك ثم كذلك إلى عهد حدوث هذه العقيدة التي يتبرأ الكتاب والسنة منها ويلعنها السلف الصالح ويلعن الدائنين بها من الباطنية والإسماعيلية والموحدية الضالة المضلة.

وهكذا تتسرب العقائد الفاسدة ويقتفي الأبناء آثار الآباء كما تقدم البيت في المعنى، وكما في الحديث الشريف « كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

يمجسانه »[2] فإن هؤلاء البنات هن أمهات بني المستقبل فهن يعتقدن أن التصرف في شئونهن وشئون أهل الإسلام في يد ديوان الصالحين، وبالطبع ان جميع ما يقع فهو بقضاء ديوان الصالحين، ويلزم التسليم له ويكون الخوف والرجاء من هذا الديوان والقطب رئيسه (Drctudant) كما هو شأن المجالس الظاهرة التي عجزنا عنها في الظاهر، فأسسناها في الغيب والباطن، إلا أنا نطلب تبديلها وبالتالي إسقاطها إذ لم تفدنا قط، فهي علينا لا لنا، ويلزم أن تسقط بسقوط الدولة العبيدية الباطنية التي أسستها وسممت بها التصوف ويلزم هؤلاء أن يراجعوا الديوان أين هو ومن نصبه ومن انتخبه وإلى أية مدة وهل توفرت له شروط الانتخاب ولا تلاعب فيه أولا ؟ وما هي شروط المنتخب باسم الفاعل — والمنتخب — باسم المفعول — وأنا لنحتج على تخلفنا وتخلف حزبنا إلا إذا برهن لنا معتقدو الديوان أنهم مثلنا لا علم لهم بشيء من الشروط والقواعد المتبعة في هذا الديوان والظاهر كذلك لا علم لهم ولا علموا بمكانه ولا برجاله ولا بتأسيسه ولا بقوانينه ولا أثر لهم في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا وجدوا له دليلا في القرون الثلاثة الأولى فحينئذ نتفق نحن وإياهم على العمل بمقتضى إحدى القواعد الأصولية إما الكتاب والسنة الشريعة الظاهرة، وإما

[2] رواه البخاري.

الشريعة الباطنة، ولا بد من إلغاء إحديهما لأنهما ضدان وجود إحديهما يستلزم نفي الأخرى وإما العوائد والأهواء كما نرى أما أنا ومن على شاكلتي من إخواني الكثيرين فلا شريعة لنا ولا دين ولا ديوان إلا الكتاب والسنة وما عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعقيدة السلف الصالح أي فلا اعتزال ولا ماتريدي ولا أشعري وذلك أن الأشاعرة تفرقوا واختلفوا أي المتقدمون منهم والمتأخرون ووقعوا في ارتباك من التأويل والحيرة في مسائل يطول شرحها لم تتصف بعد فعلام ؟ وقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كما قال تعالى :

﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1]

[1] سورة الأنعام الآية 91.

المهدي المنتظر

س : ما قولكم في المهدي المنتظر ؟

ج : المهدي المنتظر أحاديث شأنه مروية ولكن في غير الصحيحين، وإنها كثيرة ولا يبعد أن تكون من وضع الغلاة من الشيعة والباطنية بالخصوص وهي بهم أشبه وان قولنا في أحاديث هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم في أهل الكتاب « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1] » وذلك أن الحديث دخله التحريف بالزيادة والنقصان ودست الطوائف ما يوافقها ومن أجل ذلك كثر دعاة المهدوية وسفكت بسببها الدماء البريئة وكنت ابتداء طلبي العلم وحال تسليمي بكل ما يقال معتقدا أنه لا ينقذ أهل الإسلام من أيد المتغالين من أوربة إلا المهدي حتى كنت ارى أشياء من ذلك في المنام أظن لشدة تعلق الخاطر بذلك ولما وفقني الله إلى البحث والتنقيب والاجتماع بالعلماء العارفين المعتدلين الإصلاحيين المنصفين مع التمحيص واستعمال الفكر وتتبع ما ثبت شرعا ونبذ ما لم يثبت ثبوتا لا

[1] سورة العنكبوت الآية 46.

يحتمل النقيض وجاءت بيدي مقدمة ابن خلدون فطالعتها بإمعان فوجدته قد وفى هذا الباب حقه من البحث إذ أورد جميع ما قيل في المهدي من الأحاديث النبوية وغيرها إجمالا وتفصيلا ثم طفق يحل فيها حلا مرضيا كلمة كلمة وضعفها كلها وسخر بالمغرورين ممن ادعوها فأراحني رحمه الله. وكان الأستاذ المرحوم الشيخ محمد سعيد بن زكري مفتي الديار الجزائرية في هذا العهد معجبا بما سطر ابن خلدون في المعنى ولما قدم الشام فاتفق ان قد وجدني هناك واجتمع بالمحدث بالشام الأستاذ الشيخ بدر الدين فسأله عن أحاديث المهدي ماذا يقول فيها فقال انها موجودة ومعتقد صحتها ولم يبد دليلا على صحتها من قوله صحيحة فعلم الأستاذ ابن زكري ان جواب الشيخ بدر الدين غير كاف أو لم يطالع ما سطره ابن خلدون.

ومما قال ابن خلدون في المهدي عند المتصوفة قوله : وللمتصوفة المتأخرين في أمر هذا الفاطمي طريقة أخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو أصل طرائقهم ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة في هذا الشأن وما للمنكرين فيها من المطاعن وما لهم في إنكارهم من المستند ثم نتبعه بذكر كلام المتصوفة ورأيهم ليتبين لك الصحيح من ذلك إن شاء الله.

ثم أورد الأحاديث والردود عليها فاستوفى الكلام عليها في نحو عشر صفحات من القالب الكبير ثم قال ما لفظه بالحرف :

« وأما المتصوفة فلم يكن المتقدمون منهم يخوضون في شيء من هذا وإنما كان كلامهم في المجاهدات بالأعمال وما يحصل عنها من نتائج المواجد والأحوال وكان كلام الإمامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله عنه والقول بإمامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبرؤ من الشيخين رضي الله عنهما كما ذكرناه في مذاهبهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالإمام المعصوم وكثرت التآليف في مذاهبهم وجاء الإسماعيلية منهم يدعون ألوهية الإمام بنوع من الحلول وآخرون يدعون رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ وآخرون منتظرون عود الأمر في أهل البيت مستدلين على ذلك بما قدمنا من الأحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث أيضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحسّ وظهر من كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول إلا له فيهم، وظهر منهم أيضا القول بالقطب والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والنقباء واشربوا قول الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم » اهـ.

وفي فتاوى الشيخ عليش في السؤال عن المهدي أجاب المرحوم الشيخ الأمير أنه لم يصح شيء من ذلك يعني من خروج المهدي اهـ.

قلت ألا يخجل المسلمون من وجود هذه الضلالات ولكن لما كان تسعة أعشار من أهالي المغربين متصوفين وهم شيوخ كثيرون يتعين على أولئك الشيوخ رؤساء الطرق أن لا يقبلوا تلمذة متلمذ إلا بالتوبة وشروطها، وقواعد الإسلام وشروطها، وأن تكون أحكام المريدين شرعية سنية خالصة، وأن يتركوا مالا ثبوت له شرعا، وأن يزنوا أعمالهم وأقوالهم بميزان الشريعة ولا يخالفوها كما قيل :

ما بال دينك ترضى أن تدنسه   وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   إن السفينة لا تجري على اليبس

فالطرق لا تنبني إلا على دعائم الإسلام الصحيح :

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾[1]

[1] سورة آل عمران الآية 85.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾[1]

وليحكم أهل القرآن بما أنزل الله فيه :

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٤٧﴾[2]

وقال صاحب تفسير روح البيان ما نصه : قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته، ولزم طريقته اهـ

قلت يؤيد هذا قوله تعالى :

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ٦٥﴾[3]

---

[1] سورة المائدة الآية 45.
[2] سورة المائدة الآية 47.
[3] سورة النساء الآية 65.

ولا أدري كيف تصح العبادة بالعموم والتصوف بالخصوص، مع تخلف أحكام الشريعة الإسلامية في أفريقيه بالعموم، وبلدنا الزواوة على الخصوص، ونقول لشيوخ الطرق ذوي النفوذ في العامة ما قال تعالى في المعنى المماثل لهذا :

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ٦١ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٦٢ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ٦٣﴾[1]

كيف بتصوف العامي الزواوي ؟ وكيف يقبله الشيخ الصوفي وهو يمنع الميراث ويمنع التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله في ذلك أي الميراث وفي الزوجية وغير ذلك من الشجار (فلا وربك لا يؤمنون) الآية وثبت في الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد ».

---

[1] سورة المائدة من الآية 61 إلى الآية 63.

وقال أبو بكر الدقاق وكان من أقران الجنيد : كنت مارا في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة فهتف بي هاتف كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر. وبالجملة إن الأئمة المجتهدين في الفقه وأئمة علم الكلام وأئمة التصوف كلهم متبرئون ومتحفظون من مخالفة الكتاب والسنة وعلى هذا يجب عقد مجالس ومؤتمرات من أهل العلم الصحيح وعرض حالات الفرق والمذاهب والطرق عليها، ووزنها بميزان الشريعة، ثم نبذ المخالف وابعاده، فلا حاجه للإسلام به، والله ولي المتقين.

هذا وقد بان لك أيها السائل الكريم أن الإسلام الصحيح هو ما كان عليه السلف الصالح مما سطرته لك ولا تلتزم ما لا يلزم فيضلك الشيطان عن سبيل الله :

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾[1]

وكما في الحديث « لم ينهنا الله عن الربا فيربوا » وأن الإسلام الصحيح الذي ننشده هو فعل المأمورات وترك المنهيات مما تكفل به الفقه الصحيح المنقى سيد العلوم وان لم تفعل فما دنت ولا

[1] سورة الحج الآية 4.

تداينت وكذلك عليك بالورع وتقوى الله ومراقبته تعالى فتأمل هذا الحديث « لو قمتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ولم يكن لكم ورع حاجز لم ينفعكم ذلك من النار » وكان الحكيم المعري أخذ هذا المعنى ونظمه فقال وأجاد.

سبح وصل وطف بمكة زائرا ... سبعين لا سبعا فلست بناسك
جهل الديانة من إذا عرضت له ... اطعامه لم يلف بالمتماسك

ثم لما كان القصد من وضع هذا الكتاب المستطاب العناية بالقواعد والأصول الإسلامية من الأحكام الشرعية الفقهية وتتبع أبوابها المعروفة بابا بابا مع تقوى الله والعمل الصالح ظهر لي إثبات فصل عجيب لبعض صلحاء السلف وهو الحارث المحاسبي الذي كان العلامة الغزالي يعجب به وبأقواله وأفعاله[1] وناهيك بالذي يعجب به الغزالي وتقصد به الأمة كافة والمتصوفة والأغنياء خاصة لعلهم يرشدون وعنه – الغزالي – تنقل هذا الفصل وهاكه بلفظه :

[1] من أفعاله أن والده ترك له أموالا لم يقبل أخذها ميراثا لشبهة رآها فيها. وهو رحمه الله من أهل القرن الثاني المعاصرين لأحمد بن حنبل الإمام السلفي وتقدم ذكره في هذا الكتاب عند الكلام على علم الكلام وكلامه عليه نور فلذلك أثبته وهو أي كلامه عين التصوف لمن أراد التصوف الحق.

فصل

ذكره الحارث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء :

« بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون، ولا تفعلون ما تؤمرون، وتدرسون ما لا تعلمون، فيا سوء ما تحكمون، تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسه ؟ بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم، ويبقى الغل في صدوركم، يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته، ولا تنقطع منها رغبته ؟ بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم، بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخسر منكم لو تعلمون

ويلكم حتى تصفون الطريق للمدلجين، وتقيمون في محل المتحيرين ؟ كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم، مهلاً مهلاً، ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ؟ كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواههم وأجوافكم منه وحشة معطلة، يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام، توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم، على وجوهكم، ثم تكبكم على مناخركم، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم، ثم تدفعكم من خلفكم، حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم، على سوءاتكم، ثم يجزيكم بسوء أعمالكم.

إخواني رحمكم الله فهؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها، وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله، وبعد فإني رأيت الهالك برجاء فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه :

﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[1]

[1] سورة الحج الآية 11.

فيا لها من مصيبة ما أفظعها، ورزية ما أجلها، ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغركم الشيطان وأولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله فإنهم يتكالبون على الدنيا فيأخذ ما يأخذ ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون، ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فيهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع مال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت، ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح الأئمة إذ نهاهم عن جمع المال، وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال، كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة ناصحا، وعليهم مشفقا، وبهم رؤوفا، ومتى زعمت أن جمع المال

أفضل فقد زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك.

أيها المفتون ! تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد زاد عبد الرحمن ابن عوف في القيمة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتا ؟ ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا ؟ فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بعظم لحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف « ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نحا أحدا وأنا معه فقال « يا أبا ذر » فقلت لبيك يا رسول الله فقال

« الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم » ثم قال « يا أبا ذر » قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال « ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت واترك منه قيراطين » قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال « بل قيراطا » ثم قال « يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل »[1] فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ؟ كذبت وكذب من قال. فلم يرد عليه خوفا حتى خرج. وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن وسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا »[2] فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها أحرار لعلي أن أدخلها معهم سعيا، وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد

[1] متفق عليه.
[2] رواه أحمد.

الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا »[1].

ويحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن بن عوف في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة أيضا يوقف في عرصات القيمة وأهوالها بسبب أموال كسبها من حلال للتعفف ولصنائع المعروف، وانفق منه قصدا، وأعطى في سبيل الله سمحا، منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا فما ظنك بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا.

وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم، ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فتياه لأوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وانفقوا

[1] رواه الحاكم.

قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا، فبالله أكذلك أنت ؟ والله إنك لبعيد الشبه بالقوم.

وبعد فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين، ومن خوف الفقر آمنين وبالله في أرزاقهم واثقين، وبمقادير الله مسرورين، وفي الشدة راضين، وفي الرخاء شاكرين، وفي الضراء صابرين، وفي السراء حامدين، وكانوا لله متواضعين، وعن حب العلو والتكاثر ورعين، لم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم، ورضوا بالبلغة منها، وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها، فبالله أكذلك أنت ؟ ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله تعالى، وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين، وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيبا حزينا، وإذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا، فقيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك قال إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد أسوة، وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا

وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها ؟ فكأنهم على جناح خوف، وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا.

فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت ؟ إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضدا لأحوالهم وذلك أنك تطغى عند الغنى وتقطر عند الرخاء وتمرح عند السراء، وتغفل عن شكر ذي النعماء، وتقنط عند الضراء، وتسخط عند البلاء، ولا ترضى بالقضاء، وتبغض الفقر، وتأنف من المسكنة، وذلك فخر المرسلين. وأنت تأنف من فخرهم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها.

ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم فربت عليه أجسامهم »[1] وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم :

[1] رواه البزار بسند ضعيف والبيهقي وفي إسناده رجل ضعيف.

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[2]

وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة، نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا، وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان، وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تكره لقاء الله والله للقائك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا.

تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله، نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها.

وبلغنا أن بعض أهل العلم قال : إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله، وعساك تعنى بأمور دنياك أضعاف ما تعنى بأمور آخرتك، وعساك ترى

[2] سورة الأحقاف الآية 20.

مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك، نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب، وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا، وعساك ترضي المخلوقين مساخطا لله تعالى كيما تكرم وتعظم، ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك، وعساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس، فكان العبيد أعلى عندك قدرا من الله تعالى الله عن جهلك، فكيف تنطق عند ذوي الألباب وهذه المثالب فيك ؟ أف لك متلوثا بالأقذار، وتحتج بمال الأبرار، هيهات هيهات ما أبعدك عن السلف الأخيار !

والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم، إن الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت أطيب ملك وأحله مثل شبهات أموالهم، وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل، ليت صومك على مثال إفطارهم، وليت اجتهادك في العبادة على مثل فطورهم ونومهم، وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم.

وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال : غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا وتهمهم ما روي عنهم منها، فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله، وفريق أمثالكم في السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله.

وبعد فإنك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم ؟ أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا، لقد بلغني أن بعض الصحابة قال : كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام، أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط ؟ لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك، ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر من مكر الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام.

وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام » أيها المغرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم

[1] متفق عليه.

لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر. بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال : لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أتحل لك أم لا ؟ فإن زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات، وإنما تجمع المال لزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله، ويحك إن كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فإن خيار الصحابة خافوا المسألة، وبلغنا أن بعض الصحابة قال : ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة، قالوا ولم ذاك رحمك الله ؟ قال لأني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من أين اكتسبت وفي أي شيء أنفقت ؟ فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الإسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره وأنت بغاية الأمن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الأوساخ ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال، ويحك أين الحلال فتجمعه ؟ وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في أمرك وأحوالك ؟ لئن

ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمارة بالسوء، ويحك إني لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر ولا تتعرض للحساب فإنه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نوقش الحساب عذب »[1] وقال عليه السلام « يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وأنفقه في حلال فيقال اذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك في صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها، فيقول لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت علي، فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به ؟ فيقول لا يا رب لم أختل ولم أباه في شيء، فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ؟ فيقول لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت علي، قال فيجيء أولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب أعطيته

[1] متفق عليه.

وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فإن كان أعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يسئل. ويحك فمن ذا الذي يتعرض هذه المسألة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها. ويحك لأجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الأخيار أسوة، فإن أبيت ذلك وزعمت أنك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال إلا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال إلا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك، ويحك فإن كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك أن ترضى بالبلغة، وتعتزل ذوي الأموال إذا وقفوا للسؤال، وتستبق مع الرعيل الأول في زمرة المصطفى لا حبس عليك للمسألة والحساب فإما سلامة وإما عطب، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل صعاليك المهاجرين قبل

أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام »[1]. وقال عليه السلام « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي أنتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتكم ؟ » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرني أن لي حمر النعم ولا أكون في الرعيل الأول مع محمد عليه السلام وحزبه، يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمن المرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلّ المتقين.

لقد بلغني أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة ؟ قال نعم بينما أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه أحد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول « إليك عني » فقلت له فداك أبي وأمي ما أرى بين يديك أحدا فمن تخاطب ؟ فقال « هذه الدنيا تطاولت إلي بعنقها ورأسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت إليك عني فقالت ان تنج

[1] رواه الترمذي وحسنه.

مني يا محمد فإنه لا ينجو مني من بعدك فأخاف أن تكون هذه لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1]. يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال ويحك أنت في أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع ؟ أف لك ما أعظم جهلك، ويحك فإن تخلفت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى، لتنظرن إلى أهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء، ولئن قصرت عن السباق، فليطولن عليك اللحاق، ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير، ولئن لم تقنع بالقليل، لتصيرن إلى وقوف طويل، وصراخ عويل، ولئن رضيت بأحوال المتخلفين، لتقطعن عن أصحاب اليمين، وعن رسول رب العالمين، ولتبطئن عن نعيم المتنعمين، ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين في أهوال يوم الدين، فتدبر ويحك ما سمعت.

وبعد فإن زعمت أنك في مثال خيار السلف قانع بالقليل، زاهد في الحلال، بذول لمالك، مؤثر على نفسك، لا تخشى الفقر، ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر والغنى، راض بالفقر والبلاء،

[1] رواه الحاكم.

فرح بالقلة والمسكنة، مسرور بالذل والضعة، كاره للعلو والرفعة، قوي في أمرك، لا يتغير عن الرشد قلبك، قد حاسبت نفسك في الله، وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله، ولن توقف في المسألة ولن يحاسب مثلك من المتقين، وإنما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله — ويحك أيها المغرور فتدبر الأمر وأمعن النظر أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين، وأيسر للحساب، واخف للمسألة، وآمن من روعات القيامة، وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافا ؟

بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل، وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به، وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه، والآخر جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل ؟ قال بعيد والله ما بينهما، الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها، ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك أروح لبدنك، وأقل لتعبك وانعم لعيشك، وأرضى لبالك، وأقل لهمومك، فما عذرك في جمع الأموال وأنت بترك

المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر، نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل.

وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك إذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والفوز في الدنيا مجانبة فسر مع لواء المصطفى مسابقا إلى جنة المأوى فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين في الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء، وإذا استقرض لم يجد قرضا، وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه، ولم يقدر على أن يكتسب ما يغنيه. ويمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا »[1].

ألا يا أخي متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فإنك مبطل فيما ادعيت إنك للبر والفضل تجمعه، ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال، ويحك راقب الله واستح من دعواك أيها المغرور، ويحك إن كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا أن الفضل

[1] رواه الطبراني.

والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول، نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك، معترفا بإساءتك، وجلا من الحساب، فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج لجمع المال.

إخواني اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة، فأما جمع المال في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم منه، وبعد فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم ؟ وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم ؟ دهينا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها، وعن قريب يكون الورود، فيا سعادة المخفين يوم النشور، وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط. وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل. وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين انتهى كلام المحاسبي رحمه الله قلت وظهر لي أيضا من المناسب إثبات جملة من الأخلاق المذمومة الفاشية في الأمة وهي :

الأخلاق المذمومة

عدم الخشية من الله والعياذ به – خوف الفقر – سخط المقدور – الغل – الحقد – الحسد – الغش – طلب العلو – حب الثناء بالباطل – حب طول البقاء في الدنيا – التمتع غير الشرعي – الكبر – الرياء – طاعة الغضب – العداوة بغير حق – الطمع – البخل – الجبن – البذخ – الاشر – البطر – تعظيم الأغنياء لغناهم – احتقار الفقراء لفقرهم – الفخر – الخيلاء – التنافس – المباهاة – الاستكبار عن الخلق – الخوض فيما لا يعني – لغو الكلام – بذاءة اللسان – الصلف – المداهنة – العجب – الاشتغال بعيوب الناس عن عيوبه – شدة الانتصار لهوى النفس – ضعف الانتصار للحق – الأمن من مكر الله – العصبية الجاهلية – الاتكال على الطاعة والاغترار بها – المكر – الخيانة – الخديعة – القسوة – طول الأمل – الحماقة – الفرح بالدنيا – الأسف على فوات الدنيا – الجفاء – الطيش – العجلة في ما لا يليق – قلة الحياء – قلة الرحمة.

الأخلاق المحمودة

الصبر – الشكر – الخوف من الله – الرجاء في الله – الرضاء من الله – الزهد القناعة – التقوى – السخاء – الإحسان – حسن الظن – حسن المعاشرة – الصدق – الإخلاص – الوفاء.

وأما الكبائر والعياذ بالله فهي :

الإشراك بالله تعالى – قتل النفس بغير حق – الربا – السحر – قذف المحصنات – أكل أموال اليتامى بالباطل – الفرار من الزحف – الزنا – اللواط – شرب الخمر – قطع الطريق – أكل أموال الناس بالباطل – شهادة الزور – عقوق الوالدين – الغيبة والنميمة – اليمين الغموس – ترك الصلاة – الصلاة بلا طهارة – الصلاة في غير الوقت – تغيير القبلة – القنوط من رحمة الله – إساءة الظن بالله – الأمن من مكر الله – قطيعة ذوي الأرحام – الكبر – الكذب المؤدي للفتنة – الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم – القيادة والدياثة – هجر المسلم الصالح – ترك الحج من المستطيع بماله ونفسه – الفطر في رمضان بغير عذر – منع الزكاة – الحكم بغير ما أنزل الله – الرشوة – القول في الدين بلا علم – سب الصحابة رضوان الله عليهم – الإصرار على المعاصي

الصغائر – ترك الاستبراء من البول – جماع الحائض – كتمان العلم – تصوير الأجسام – تصديق الكاهن والعراف – السجود لغير الله – الدعوة إلى البدعة – الغلو.



وبعد هذا فالإسلام الصحيح هو ما كان عليه النبي وأصحابه، إذا أردنا العمل وكنا مصدقين بذلك، فما علينا إلا مراجعة الكتاب السماوي والكلام النبوي من الأوامر والنواهي ثم سيرة النبي وأصحابه وقرنهم خير القرون فنعمل بما ثبت وصح من ذلك كله، إذ لا نكلف غير ذلك ونعبد الله إلها واحدا ولا نشرك به أحدا، ونقلل من المشارب والمذاهب ومن الطرق والسبل، والله سبحانه وتعالى يقول لنا :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[1]

وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال « هذا سبيل الله » ثم خط عن يمين الخط وعن شماله خطوطا فقال « هذه سبل وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه » ثم تلا قوله تعالى (وان هذا صراطي مستقيما)[2] الآية وكذلك حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها

[1] سورة الأنعام الآية 153.
[2] رواه أحمد.

القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول كأنها موعظة مودع أوصنا. قال « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد فأطيعوه فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة »[1] وأما كثرة المذاهب والشيع والملل والنحل والأجناس والأوطان والعصبيات التي جاء الإسلام بتوحيدها وردها إلى أصل واحد في الدين وهو عبادة الإله الحق، خالق الخلق، الذي فطر كل شيء، وكذلك ردها إلى أصل واحد من حيث الجنس، وهو آدم كما في الحديث الصحيح « إنما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله » فتلا صلى الله عليه وسلم الآية :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[2] »[3]

[1] أبو داود والترمذي.
[2] سورة الحجرات الآية 13.
[3] رواه ابن أبي حاتم.

وما عدا هذا فهو جائز الترك وجائز الترك ليس بواجب فلا يلزمنا.

وبالجملة إن كثرة التفريق والاختلاف في التعاليم الدينية، مزّق الأمة كل ممزق وهذا مما أدركه كل مسلم جاهلا كان أو عالما فلزم إذا عدم التفرق وذلك إنما يكون بتوحيد التعاليم قديما وحديثا وهو أمر صعب ولكن على غير العاملين بحديث النجاة وهو قوله صلى الله عليه وسلم « إلا واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي »[7] فعلام نغفل هذا ونتعامى ونعمل بمائة مذهب وبألف ملة وطريقة ؟

فإذا كان العمل على مقتضى هذا الحديث الذي ضبط القضية وحصرها فليلزم الحكومة تنفيذ ذلك والعض عليه بالنواجذ كما في الحديث الذي ذكرناه آنفا عن العرباض رضي الله عنه، ولكن كان من سوء الحظ أن الحكومات مثل الفاطمية والموحدية هما اللتان أحدثتا بدعا وكفريات لا تحملها السموات والأرض هذا من جهة الدين.

[7] رواه ابن ماجه بسند جيد.

وأما من جهة السياسة فدولتا بني أمية وبني العباس هما المسببتان لتكوين الشيعة بسبب اضطهاد الشرفاء آل النبي وبذلك تداخل أعداء الإسلام كعبد الله بن سبأ وعبيد الله الشيعي الذي قام بدعوة الفاطميين وعبد الله بن ميمون القائم بتأسيس الطائفة الإسماعيلية الباطنية فكان ما كان وما زلنا في ذلك الظلام نتخبط ونتمادى اللهم إنك لطيف لما تشاء وأنت العليم الحكيم.

فصل في ذكر الفرق الضالة

لما كان القصد من كتابي هذا خدمة المسلمين بتعيين الإسلام الصحيح، وإرشاد الإخوان المسلمين إلى ذلك، قد آسفني كما آسف كل مسلم صحيح العقيدة، ما طرأ على الإسلام الصحيح، من التغيير والتحريف بالزيادة والنقصان، وتسرب البدع إليه، وتمكنها في أهله منذ أحقاب، ان صارت لهم دينا وديدنا وخلقا لا يشكون فيها انها بدع منكرة بل عدوها قربة وعبادة، لتمكنها منهم منذ أجيال وهناك الطامة الكبرى لأنهم لا يستغفرون منها ولا يتوبون ولا هم يذكرون كما تقدم ذكر هذا المعنى، وكنت كثيرا ما نددت بالطائفة الباطنية الإسماعيلية من الشيعة والرافضة الدائنة بالحلول والألوهية الأئمة وكان أهل مغربنا بالعموم وأهل الجزائر بالخصوص لا يعلمون معنى الباطنية والإسماعيلية والإمامية والقرامطة وما دانت به الدولتان الفاطمية التي توجهت جحافلها من بلدنا هذا الجزائر بدعوة عبيد الله الشيعي أواخر القرن الثالث مندفعة إلى مصر فامتلكتها من لدن القرن الثالث بل الرابع إلى السادس إذ قضى عليها صلاح الدين الأيوبي كما تقدم ثم قامت دولة أخرى وهي دولة الموحدين من لدن القرن الخامس إلى أن انقرضت بقاياها من تونس على أيدي العثمانيين فكلتاهما دان

أهلوهما بالتشيع والباطن وعصمة الأئمة وإلهيتهم ونحو ذلك مما قد أشرنا إليه عرضا – ظهر لي الآن عقد هذا الفصل في ذكر هذه الفرق بالعموم والباطنية والإسماعيلية – وهما بمعنى واحد والامامية بالخصوصية فأقول.

قال الكاتب الاجتماعي العمراني محمد فريد وجدي في كتابه دائرة المعارف ما لفظه : الإسماعيلية فرقة من الفرق الإسلامية تمتاز عن الموسوية والاثنى عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق من ذرية علي قالوا وبعد إسماعيل محمد ابن إسماعيل السابع التام قالوا ولن تخلو الأرض قط من إمام حي قاهر إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن تكون حجته مستورة، وإذا كان الإمام مستورا فلا بد أن تكون حجته ودعاؤه ظاهرين. ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكانت لهم دعاة في كل زمان ويلقبون بالباطنية أيضا فحكمهم بان لكل باطن ظاهرا ولكل تنزيل تأويلا الخ ولكن وجدت هذه الفرقة كما وجدت أخواتها من الاضطهاد ما وجدت فالتجأ أولئك الأئمة من أولاد علي إلى ترك أوطانهم والهجرة إلى أقصى خراسان والعراق هربا مما يحيق بهم من حماسة أشياعهم وأصبحت في القرن الثاني الهجري على وشك الانحلال إلا انه ظهر رجل مدلس اسمه عبد الله بن ميمون

من فارس مملوء آمالا وإقداما فأراد أن يستخدم الإسماعيلية لأغراضه فادعى أنه شيعي غيور وهو في الحقيقة دهري لا يعتقد بشيء وأسس بين الإسماعيلية جمعية سرية واستعمل لذلك من الدهاء والحيل ما لا مزيد عليه ورتبها على تسعة رتب لا يرقى أحد من رتبة إلى ما فوقها إلا بالاستعداد والأهلية[1] الدرجة الأولى العامة وكان الدعاة الموجودون من قبل ذلك الزعيم يجتذبونهم بالسفسطات الملفوقة والوعود الكاذبة في تفسير رموز الدين فيبدؤون بأن يقولوا لهم ما حكمة رمي الجمار في الحج ؟ وما حكمة السعي بين الصفا والمروة ؟ ولماذا خلق الله العالم في ستة أيام ولم يخلقها في ساعة وهو قادر على ذلك ؟ ما هي روحك من أين أنت وإلى أين تذهب ؟ الخ من الأسئلة التي تشتاق لها العامة وتقبل فيها كل ما يقال ومتى هيج عند الناس الميل لسماع الأجوبة قال لهم لا تعجلوا الدين أغلى من أن تبذل حقائقه لمن لا يعيها ولا يصونها ولا بد من أخذ العهد والميثاق على كل من يريد أن يشاركنا في أسرارنا[2] هذه بأن لا يكشف لنا سرا[3] ولا ينصب لنا

[1] هي عين الماسونية وسائر الجمعيات الغير المشروعة وهو عين الباطنية التي لا يحاط بها ولا تدرك غايتها.
[2] إن امور الدين لا سر فيها يكتم.
[3] دليل انهم جمعية قاصدة أمرا يهمها سياسيا كان أو دينيا.

أحبولة وان يصدقنا ويدافع عنا الخ فيأخذ عليهم العهود ويأمرهم بالتسليم المحض والخضوع التام ثم يتركهم وشكوكهم إلى حين.

الدرجة الثانية يكاشفون المستعدين للترقي من أهل الدرجة الأولى بأن الناس قد ضلوا بتقليد الأئمة الأربعة[1] وأن الذي يقلد في الحقيقة هو الإمام المعصوم.

الدرجة الثالثة يكشفون له العقيدة في الأئمة وهي أنهم سبعة والإمام الحاكم هو السابع وأنه عالم بكل سرائر الدين ورموزه.

الدرجة الرابعة يقولون إنّه كما أن عدد الأئمة سبعة كذلك عدد الرسل الذين جاءوا بشرائع ناسخة وكان لكل منهم مساعد ولمساعدهم مساعد إلى سبعة أيضا كل من هؤلاء السبعة المساعدين يدعى الصامت وأما مؤسسو الأديان فيدعى كل منهم الناطق والناطقون هم آدم شيث صامت ومعه ستة نوح وسام وصامت معه ستة إبراهيم إسماعيل صامت ومعه ستة الخ موسى هرون صامت الخ عيسى بطرس صامت الخ محمد علي ومعه ستة إلى إمام الوقت عبد الله المومى إليه.

[1] ظهر مرادهم أنه العدول عن الخلفاء الثلاثة ورفضهم وإثبات نبوة علي وغلط جبريل في إداء الوحي والرسالة إلى آخر مقاصدهم المخزية وكفرهم الملعون.

سر هذه المزاعم تغيير عقيدة المريد من أنه لا وحي بعد محمد عليه الصلاة والسلام ثم الادعاء بأن الوحي مستمر على توالي الأجيال في الأئمة المعصومين ومن هنا يخرج المريد عن الإسلام شعر أو لم يشعر.

الدرجة الخامسة يقولون للمريد إن شريعة محمد ستنسخ وينظرون للمريد فإن كان فارسيا ذكروه بذله للعرب ورضوخه هم وحسوه للتخلص من نيرهم وان كان عربيا هيجوه على الفرس وأروه سوء مغبة تداخلهم في حكومته.

الدرجة السادسة يرون المريد عدم وجوب العبادات من صلاة وصوم اخ ويزعمون أن كل هذه التقاليد وضعت لا خضاع العوام والسيطرة عليهم من قبل من قالوا إنهم أنبياء وأن الفلاسفة اليونان أكمل عقولا وأوسع علما من أولئك النبيين ولكنهم لا يوصلون من المريدين إلى هذه الدرجة وما بعدها مما يكشف السر النهائي إلا نفرا قليلين جدا لأنهم لما كان غرض عبد الله بن ميمون هذا تأسيس مملكة لذريته كان من العقل والتبصر أن يمسك العامة بدين يربطهم لأنهم لو أخذوا لسعي كل منهم لشهوات نفسه دون غيره كانوا ينتخبون الدعاة من أصحاب اللسن والخداع وكانوا يجتذبون الناس بالتأثير على عقولهم بطرق

لا يجاريهم فيها غيرهم وبذلك استفحل أمر هذه الفرقة في القرن الثاني والثالث والرابع والخامس وصارت لهم جيوش وحصون وكانت مملكة البحرين كلها لهم وحدث أن القرامطة وهي فرقة منهم بالعراق نمت وتكاثرت حتى صارت خطرا على بلاد العرب وحدث أنها هاجمت الحجاج في البيت الحرام وقتلت منهم ألوفا مؤلفة قيل ثلاثون ألفا وقيل سبعون ألفا وأخذوا الحجر الأسود وأتوا من الفظائع ما يقشعر منه الإنسان ثم ردوا الحجر إلى محله فرمتهم الأمم عن قوس اهـ. وأما عموم الفرق فمتفرعة من الشيعة والخوارج نسأل الله لنا ولهم الهداية.

قلت وإلى هذه الطائفة الكافرة الماكرة الخاسرة يشير جميع المؤرخين وأنها سممت الأمة كما قدمت مددا في عدة مواضع من هذا الكتاب وإليها أشار ابن خلدون حين كلامه على الغلاة من المتصوفة مثل محي الدين بن العربي وابن سبعين وابن العفيف وأضرابهم بأن سلفهم كانوا مخالطين للإسماعيلية فأحدثوا القول بالقطب وعصمة الأئمة وألوهيتهم وكذلك يكفي فيما قدمت من أن الدولتين العظيمتين الفاطمية والموحدية دانتا بهذا المذهب الملعون ولبثا قرونا فغرسوا العقائد الفاسدة من تصرف الأولياء والأموات ونحو ذلك من القول بالغيب والكشف الأمر الذي تتبرأ منه شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى وقع في

ذلك الخطأ والزيغ أمثال السيوطي وعلي الخواص والشعراني وعليش كما قدمنا وما زال القوم عموما والسادة المتصوفة خصوصا يقعون في هذه المهاوى طالبين الكشف والغيب والولاية والقطبية والغوثية والنقابة والبدلية وترتيب الديوان وإصداره الأحكام وهذه الأمور كلها لم يكن عليها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بل هي محدثة ولم يكلفنا الله بها وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التنطع والتعمق في الدين إذ قال صلى الله عليه وسلم « هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون »[1] وبالجملة ان الطائفة الناجية عرّفها صلى الله عليه وسلم بقوله : « ما أنا عليه وأصحابي »[2] فماذا بعد الحق إلا الضلال،

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝﴾[3]

[1] رواه مسلم.
[2] رواه ابن ماجه بسند جيد.
[3] سورة آل عمران الآية 8 – 9.

فهرس



تم الطبع من طرف متيجة للطباعة
549 شارع مصطفى جعدي براقي - الجزائر الهاتف : 021531400